وقفات للعقل والروح



أ. د. عبد الكريم بكّار

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

وقفات للعقل والروح

تأليف
أ. د. عبد الكريم بكار

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

الطبعة الأولى
١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية - إدارة الشئون الفنية .

بكار ، عبد الكريم.
وقفات للعقل والروح / تأليف عبد الكريم بكار . - ط ١ . - [القاهرة] : دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، [٢٠١١م] .
١٣٦ ص ؛ ٢٠سم .
تدمك ٩٧٨ ٩٧٧ ٣٤٢ ٩٩٤ ٢
١ - الأخلاق الإسلامية .
أ - العنوان .
٢١٢

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
ش.م.م
تأسست الدار عام ١٩٧٣م وحصلت على جائزة أفضل ناشر للتراث لثلاثة أعوام متتالية ١٩٩٩م ، ٢٠٠٠م ، ٢٠٠١م هي عقد الجائزة تتويجا لعقد ثالث مضى في صناعة النشر

جمهورية مصر العربية - القاهرة - الإسكندرية
الإدارة : القاهرة : ١٩ شارع عمر لطفي موازٍ لشارع عباس العقاد خلف مكتب مصر للطيران عند الحديقة الدولية وأمام مسجد الشهيد عمرو الشربيني - مدينة نصر
هاتف : ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢ +) فاكس : ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع الأزهر : ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي - هاتف : ٢٥٩٣٢٨٢٠ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع مدينة نصر : ١ شارع الحسن بن علي متفرع من شارع علي أمين امتداد شارع مصطفى النحاس - مدينة نصر - هاتف : ٢٤٠٥٤٦٤٢ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع الإسكندرية : ١٢٧ شارع الإسكندر الأكبر - الشاطبي بجوار جمعية الشبان المسلمين
هاتف : ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس : ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣ +)
بريديًا : القاهرة : ص.ب ١٦١ الغورية - الرمز البريدي ١١٦٣٩
البريد الإلكتروني : info@dar-alsalam.com
موقعنا على الإنترنت : www.dar-alsalam.com

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

* * *

مُقَـدِّمَة

الحمد للَّه حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فقد حرصت خلال العامين الماضيين على إرسال رسالة أسبوعية إلى المشتركين في القائمة البريدية لموقعي الشخصي، وقد كان بعضهم يقومون مشكورين بنشر تلك الرسالة على (الإنترنت) وقد استُقبلت تلك الرسائل استقبالًا حسنًا من لدن كثير من القراء، وأعتقد أن بساطة أسلوبها هو السبب الرئيس وراء ذلك، واللَّه - تعالى - صاحب الفضل في كل ما أصبت من خير ونجاح.

ومن لطيف صنع اللَّه - تعالى - أنني خلال كتابة هذه الرسائل كنت أشعر بتدفق فكري لا أشعر به في كثير من كتاباتي الأخرى إلى درجة يمكن معها القول: إن كل رسالة منها - تقريبًا - تمت كتابتها في جلسة واحدة وبسرعة غير معتادة بالنسبة إليَّ، ومن الواضح أنني حاولت أن أكون قريبًا من قرائي الأعزاء إلى أبعد حدٍّ ممكن، ولهذا فإنك تجد أن كثيرًا من هذه الرسائل كانت في الحقيقة عبارة عن تعليق منهجي على شيء رأيته أو سمعته، أو شعرت بمعاناة الناس منه، وهذا

يشكل المستوى الثالث في معالجاتي الفكرية والثقافية.

بقي أن أقول: إن داعي نشر هذه الرسائل مطبوعة على ورق بعد أن تم نشرها (إلكترونيًّا) هو أن هناك أعدادًا كبيرة من القراء الذين يستهويهم مثل هذه الرسائل لا يدخلون على (الشبكة العنكبوتية) كما أن معظم الناس يحبون القراءة على الورق ولمس الكتاب بأيديهم، وقد قام مجموعة من قرائي الشباب باختيار هذه الرسائل من بين أكثر من مئة رسالة، وقد وقع إجماعهم على العشرين رسالة الأولى منها، فلهم شكري وثنائي، وإني أسأل اللّه - تعالى - بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يبارك في هذه الرسائل، وينفع بها إخواني المسلمين، إنه سميع مجيب.

أ. د. عبد الكريم بكّار

الرياض في ١٧/ ١٢/ ١٤٣١هـ

* * *

١

هل أنت سند؟!

في محاضرة نسائية قيل للحاضرات: لتكتب الآن كل واحدة منكن رسالة إلى شخص تعتبره الأول في حياتها، وبعد أن انتهين من ذلك سُئلت إحداهن: لمن أرسلت رسالتك؟ قالت: لابني.

قيل لها: هل يمكن أن تصفيه بكلمة واحدة؟ قالت: سندي!. شيء عظيم أن تكون ثقتنا باللَّه - تعالى - وبمعونته من غير حدود، وشيء عظيم أن يكون الواحد منا مظنة للمساندة في الشدائد والطوارئ.

قد يكون للمرأة أولاد عدة، ولكن واحدًا منهم هو الذي تعتقد أنه يمكن أن تلجأ إليه عند الشدة، كأن تقضي باقي عمرها معه في بيته، وواحدٌ منهم فقط هو الذي يمكن أن تطلب منه المال لمساعدة أمها أو أختها أو ولد آخر من أولادها...

قد يكون للمرأة عدد من الإخوة، لكن واحدًا منهم فقط هو الذي يخطر في بالها، وتعنيه فعلًا حين تقول لزوجها الذي شتمها وأهانها: أنا ذاهبة إلى بيت أخي.

قد يكون للواحد منا أصدقاء عديدون، لكن واحدًا منهم

فقط هو الذي يخطر في باله حين يحتاج إلى من يذهب به إلى المستشفى الساعة الثالثة فجرًا، ويخطر في باله حين يحتاج إلى مال يقترضه في ظرف صعب.

أن يكون المرء سندًا يعني: أن يكون قمة في بر والديه وصلة رحمه، أو قمة في نجدة صديق، أو قمة في إغاثة ملهوف....

هناك دائمًا قمة أعلى من قمة، وإن بين أهل الفضل والمعروف مَنْ ينفق على مئات الأسر من فقراء المسلمين، إنه سند لألف أو ألفين من الناس، وإن كل واحد منهم يعتقد أنه سيكون بخير ما دام ذلك الفاضل بخير...

هنيئًا ثم هنيئًا لمن تناط به الآمال العراض من الأهل وذوي الحاجات، وهنيئًا ثم هنيئًا لمن يعتقد الكثيرون أنهم في أمان ما دام موجودًا.

بشيء من التضحية وشيء من التخلي عن حظوظ النفس يمكن للمرء أن يكون سندًا لشخص واحد على الأقل، فيكون أشبه بجندي باسل أصيب زميل له فحمله على ظهره ليبعده عن مرمى نيران العدو.

* * *

٢

ما بين التكيف والتطوير

إن اللَّه - تعالى - فطر الناس على التشبث بالحياة إلى آخر لحظة ممكنة، ولهذا فإنهم يملكون قدرات هائلة على التكيف والتأقلم مع أشق الظروف وأسوأ الأوضاع، ويلاحظ إلى جانب هذا أن من شأن بني آدم الشعور بالعوز والتطلع إلى امتلاك المزيد من الأشياء والحصول على المزيد من المسرات، وهذا يحفزهم في أحيان كثيرة على السعي نحو التغيير والتطوير.

والحقيقة أيها الإخوة والأخوات أننا في حاجة إلى زيادة وعينا بنصاب الاعتدال في هاتين المسألتين: مسألة التكيف ومسألة التطوير، من أجل استثمار أفضل لهما.

حين يكون الكرسي الذي أجلس عليه خلف مكتبي غير مريح فما التصرف الأمثل في هذه الحالة؟ بعض الناس يتوقف عن القراءة، ويعرض عن الجلوس خلف المكتب إلى أن يحصل على كرسي مريح، وقد يمتد ذلك إلى شهور، فيحرم نفسه من خير عظيم..

وبعض الناس يضغط على نفسه ويستخدم ذلك الكرسي مدة طويلة قد تمتد إلى سنوات، ولكن ستكون مدة جلوسه

عليه قصيرة، وحين يجلس يشعر بالمعاناة. بعض الشباب يتخرجون من الجامعة، ويبحثون عن عمل، وكثير منهم لا يجدون العمل المناسب لهم، وفي هذه الحالة يرفض بعضهم ما يُعرض عليهم من أعمال ويؤثرون الجلوس في المنازل، يصارعون البطالة والفراغ، وبعضهم يقبل بأي عمل يُعرَض عليه، ويُمضي فيه شطرًا كبيرًا من حياته، ولكنه لا يشعر أنه قد نال العمل الذي يستحقه، ولا يشعر أنه حقق من خلاله ذاته وطموحاته، أو قدّم من خلاله خدمة جيدة.

أعتقد أن التصرف الصحيح في الحالتين يكمن في الجمع بين التكيف والتطوير: عليّ أن أجلس على الكرسي غير المريح، وأستثمر وقتي في القراءة، ولكن عليّ في الوقت نفسه أن أسعى بدأب لامتلاك كرسي مريح. وعلى الشاب الذي وجد العمل غير الملائم لإمكاناته وتطلعاته أن يقبل به، ويبحث في الوقت نفسه عن العمل الذي يناسبه.

إن هذه الرؤية تجمع بين التصرف (التكتيكي) والعمل (الإستراتيجي)، وإن الأول منهما يأخذ دائمًا طابع المؤقت والعابر، على حين يرتبط الثاني بالديمومة وطول الأمد. لكن هناك دائمًا خوف من أن يتحول (التكتيكي) إلى شي دائم يستمر مدة طويلة، وإن للشعوب خبرات مريرة في هذا ، ومن ثم فإن المثل الصيني يقول: لا شيء يدوم أكثر من المؤقت.

هناك خوف من أن تتحول الرؤية (الإستراتيجية) إلى أمنيات

وأحلام تدغدغ العواطف، لكن ليس هناك أي مساغٍ للسير على الطريق الموصل إليها.

العمل (التكتيكي) يمكن أن يصبح عملًا تخريبيًّا ما لم يكن في إطار إستراتيجية جيدة، فالمؤقت يجب أن يخدم الدائم والآجل، ويتصل به على نحو ما.

* * *

٣
كن مشروعًا

إذا تأملنا في أحوالنا وأوضاعنا وجدنا أن لدينا دائمًا فراغًا لا نعرف كيف نملؤه، أو نملؤه بشيء غير ذي قيمة أو غير مقنع، ومن هنا يقول أحد المفكرين المعاصرين في لفتة ذكية :

كن مشروعًا، أو أسِّس مشروعًا، أو ساعد في نجاح مشروع...

- **بعض الناس** أكرمهم اللَّه - تعالى - صار الواحد منهم أشبه بشجرة عظيمة يتفيأ الناس ظلالها ويأكلون من ثمرها، ويمتعون أبصارهم بالنظر إليها، أولئك هم القادة العظام والأئمة الأعلام والعلماء الأثبات والمفكرون الأفذاذ... إن استطاع الواحد منا أن يكون من بينهم فليفعل، فالأمة في أمسِّ الحاجة إلى من يأخذ بيدها في دروب الهداية والرفعة.

- **وهناك من الناس** من لم يتمكن من أن يجعل من نفسه مشروعًا، فوفقه اللَّه - تعالى - إلى أن يؤسس مشروعًا عظيمًا، فتراه باذلًا نفسه في نشر الخير ومساعدة الضعيف وقضاء الحاجات، إنك تجد لديه - باستمرار - المبادرة إلى تأسيس الجمعيات والهيئات والمنظمات وإطلاق الأفكار العملية النافعة والمبتكرة...

- **ثمة صنف ثالث من الناس لا يستطيع بمفرده أن يؤسس** مشروعًا، فأخذ يساعد أصحاب المشروعات القائمة، فهو تارة يقدم الرأي والمشورة، وتارة يقدم الجهد، وتارة الوقت، وتارة المال، إنه يعرف أن الحياة الحقيقية هي حياة البذل والعطاء والمساهمة، ولهذا فإنه آلى على نفسه أن يظل مغادرًا لثغرة سدها، إلى ثغرة يسدها، ومن مشروع اكتمل إلى مشروع تحت التأسيس...

هؤلاء الأصناف الثلاثة هم بَرَكَةُ الأمة ومِلْحها ورواؤها، وإن من الحرمان حقًّا أن يجد المرء نفسه بعيدًا عنهم منغمسًا في هموم صغيرة ومتع زائلة!

* * *

٤
أهل الجود

الإنسان البدائي أشبه بالطفل يقدِّر تقديرًا عاليًا ما يُقدَّم إليه من مأكول وملبوس ومركوب وكل ما كان من قبيل الأشياء، وحين يتحضر البدائي ويكبر الطفل تتغير النظرة للوجود، وينشأ اهتمام مختلف، فترتفع قيمة المعنوي، وتنخفض قيمة المادي، وهذا مقياس واضح، فأهل الرقي الروحي والفكري قد يطربون لفكرة سمعوها أو بيت شعر قرؤوه أو حكمة التقطوها... أيامًا عديدة، ومن هنا فإن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - جاءوا للارتقاء بالبشرية لأن ما قدموه لها ليس المال، وإنما الرؤية والهدف والمنهج والتشجيع والتعاطف، وقد كان أصحابهم وحواريوهم عارفين بقيمة ما يأخذونه عنهم، ولهذا فإنهم وضعوا أنفسهم رهن إشارتهم، وَفَدَوْا رسالاتهم بأرواحهم وما ملكت أيديهم!

إن كل واحد منا أيها الإخوة والأخوات يستطيع أن يكون من أهل الجود الحقيقي، وأن يكون قمة في العطاء، وذلك حين يبدأ في التفكير بغيره وفي سبل مساعدة الناس وإعانتهم على أمور دينهم ودنياهم، وحين يهتم الواحد منا بغيره فإنه سيعثر على عشرات الوسائل التي يستخدمها في نفع ذلك

الغير وفي التخفيف من مشكلاته.

نحن نكون من أهل الجود الحقيقي:

١ - حين نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر.

٢ - حين نعلِّم شخصًا حُكْمًا شرعيًّا في مسألة تتصل بسلوكه اليومي.

٣ - حين نبتسم في وجه شخص قابلناه.

٤ - حين نمسح على رأس يتيم، ونقف إلى جانب منكوب.

٥ - حين نساعد مظلومًا على استرداد حقه.

٦ - حين نشجع فتى على أن يدرس بجد واجتهاد.

٧ - حين نذكّر الناس بالآخرة، ونحثهم على الطاعة.

٨ - حين ندخل السرور على قلب مسلم.

٩ - حين نقابل السيئة بالحسنة، ونغض الطرف عن العثرات.

١٠ - حين نصلح بين اثنين.

١١ - حين نساعد حائرًا على التخلص من حيرته.

١٢ - حين نساعد شابًّا على رسم خطة لتنمية شخصيته.

١٣ - حين نقدم للناس نموذجًا من سلوكنا يقتدون به.

إننا نكون من أهل الجود الحقيقي حين نعطي ونعطي

من غير مَنٍّ ولا أذًى راجين من اللّه المثوبة والأجر وحسن العاقبة.

* * *

٥
النجدة النجدة!!

حين يشعر الناس بالكرب، ويقعون في أزمة يعبِّرون بتعبيرات شتى عما يعتقدونه سبلًا للخلاص، **ومن الملاحظ أن تلك التعبيرات تكشف عن رؤية الناس للواقع، وعن مفاهيم أساسية لديهم:**

١ - من المسلمين من يستنجد بشخصيات إسلامية فذة، كان لها دور بطولي ضخم في تاريخ الأمة، ولطالما سمعنا من يقول: نحن في حاجة إلى رجل عظيم كعمر بن الخطاب، أو صلاح الدين الأيوبي أو محمد الفاتح.. وإلا فلا أمل في الخلاص!.

لي صديق عزيز كنت أتحدث معه ذات يوم عن بعض الأطروحات الإصلاحية، فقال: أما أنا فإني أنتظر المهدي، لأكون تحت إمرته! وهؤلاء لا يجدون في تاريخ الأمة المستطيل في الزمان والمستعرض في المكان سوى خمسة أو ستة من القادة والعلماء الأفذاذ!

٢ - من المسلمين من إذا شعر بالكرب وانسداد الآفاق استنجد بالمتفوقين من الأحياء، وكل من يظن أن في يدهم مفاتيح الحل: أين حكام المسلمين؟ أين علماء الأمة؟ أين الأثرياء؟ أين الدعاة الصادقون... وهم يظنون أنهم بهذا

يستنفرون هؤلاء لحل المشكلات المتأسنة!

٣ - من المسلمين من يجد المخرج في حدوث بعض الخوارق والأحداث العجيبة، وهم كثيرًا ما يعبرون عن ذلك من خلال الدعاء على الخصوم والأعداء: اللَّهم رمِّل نساءهم، اللَّهمَ يَتِّمْ أطفالهم، اللَّهم جمِّد الدم في عروقهم، اللَّهم شلَّ أطرافهم، اللَّهم أعم أبصارهم...

هـذا كلـه لا يمثـل الموقـف الصحيـح مـن المحـن والتحـديات؛ والنتائج الماثلة إلى اليـوم تـدل على عقـم هذا النوع من التفكير وإخفاق هـذا النـوع من المواجهة للمشكلات.

أعتقد أن علينا في مواجهة مشكلاتنا القيام بالآتي:

١ - تحديد المشكلة التي نعاني منها على نحو دقيق؛ إذ إن كل مشكلة تُوصَف بشكل دقيق، هي مشكلة محلولة جزئيًا.

٢ - البحث في أسباب المشكلة.

٣ - الثقة بأن اللَّه - تعالى - يبتلي عباده بالسراء والضراء، وأنه جاعل بعد عسر يسرًا.

٤ - تحديد مسؤولياتنا وأدوارنا الشخصية بدقة في حدوث المشكلة وفي حلها.

٥ - إطلاق عدد كبير من الحلول والمبادرات الصغيرة التي تساعد على مواجهة المشكلة.

٦ - الصبر وطول النَّفَسِ، فتغيير السلوكيات والعادات يحتاج إلى وقت.

٧ - إيجاد آلية ومعيار لقياس مدى تقدمنا في معالجة المشكلة.

* * *

٦
المقارنة المضيئة

لا يستطيع أي إنسان أن يعرف موقعه على خريطة النجاح الدنيوية والأخروية إلا إذا نظر إلى أقرانه، وكلٍّ أولئك الذين يعيشون في ظروف قريبة من ظروفه. ونحن في الحقيقة في حاجة إلى نوعين من المقارنة: مقارنة على صعيد ما وهبنا اللَّه - تعالى - إياه، ومقارنة على صعيد كسبنا وجهدنا الشخصي.

- **أما على الصعيد الأول** فقد وجَّهَنا ﷺ إلى أن نقارن أنفسنا بمن هم دوننا حيث صحَّ عنه أنه قال: « **انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة اللَّه عليكم** ». إذا نظرنا لمن هم دوننا في الجمال والذكاء والحسب والنسب والمال والشكل والقوة البدنية.. فإننا سنعرف عظم ما أفاضه اللَّه علينا من خيراته وبركاته، وهذا يدفعنا إلى حمده وشكره والثناء عليه.

- **أما على صعيد الجهد والكسب**، فإن علينا أن ننظر إلى من هم فوقنا، لننظر إلى أولئك الذين يصلُّون ويصومون ويتصدقون.. أكثر منا، ولننظر إلى أهل الإرادات العظيمة والأخلاق الفاضلة كي نقبس منهم، ونهتدي بهديهم.

إن النظر إلى من هم فوقنا يَقِينا من داء الكِبر والغرور، ويجعلنا نتهم أنفسنا ونبحث في تقصيرنا، كما أنه يَستَحِثنا على بذل المزيد من الجهد. وما أجمل قول اللّـه - جل وعلا -: ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ [المطففين: ٢٦] **ولنا مشكل كبير مع فئتين من المسلمين:**

- **فئة** ترفض شعوريًّا وسلوكيًّا أي مقارنة، فإذا قال الرجل لامرأته: انظري إلى تربية آل فلان لأولادهم، وكيف أنهم قد نجحوا في ذلك أكثر منا، قالت له: ما لنا وللناس، وظروفنا غير ظروفهم؟! وإذا قالت المرأة لزوجها: انظر إلى جارنا كيف يصلي دائمًا في الصف الأول، وأنت تصلي في البيت، قال لها: هذا ليس من عملك، أو يقول لها: جارنا هذا غشاش أو متكبر، أو... أي أنه أفضل منه.

- **أما الفئة الثانية** فهي، تقارن نفسها بغيرها لكن على نحو معكوس، فهم ينظرون إلى من هم فوقهم في المال والصحة والنسب.. فيحسدونهم، ويزدرون نعم اللّه - تعالى - عليهم، وينظرون في أمور العبادة والصلاح إلى من هم دونهم، فيرضون عن أنفسهم و يحجمون عن التغيير والإصلاح!

* * *

٧
أذكياء ولكن...

تجلس مع كثير من شبابنا، فتعجب مما لديهم من معرفة، ومن ملاحظة ذكية وطرح جميل وفلسفة عميقة، لكن تنظر في أوضاعهم المعيشية وفي وظائفهم وفي تأثيرهم في المجتمع، فتجد أكثرهم عبارة عن أشخاص عاديين وأحيانًا أقل من عاديين، فتشعر بالأسى على تلك المواهب والإمكانات الذهنية المتفوقة التي لم يستطع أصحابها استثمارها والاستفادة منها!

من الصعب علينا في كثير من الأحيان أن نحدد السبب الجوهري في نجاح شخص وإخفاق آخر، لكن سيظل في إمكاننا استخدام بعض المؤشرات المفيدة،وفي مقاربة أولية لهذه المسألة يمكن أن نشير إلى الآتي:

١ - ليس هناك شيء بمفرده يستطيع تحقيق النجاح الباهر أو التسبب في الإخفاق الذريع، وهذه المسألة مزلّة أقدام؛ حيث إن من شبابنا من يظن أنه عن طريق الذكاء والموهبة، أو عن طريق العلم الذي في حوزته، أو عن طريق النسب، أو المال أو العلاقات الحسنة - يستطيع التفوق على الأقران وركوب عربة القيادة، وهذا في معظم الأحيان لا يكون صحيحًا. النجاح يتضافر فيه عدد من العوامل،

أهمها العزيمة والاهتمام والبيئة الملائمة والتعلم الجيد.

٢ - مشكلة كثير من شبابنا أنهم أذكياء، ومع هذا فهم عاديون في كل شيء، وذلك لأنهم لم يمسكوا برأس الخيط، أو لم يضعوا أنفسهم على (سكة النجاح)، ولهذا فإنهم أشبه بسيارة فائقة السرعة والجودة، لكن سائقها لا يملك خارطة للتحرك في الصحراء، فهو يدور حول نفسه دون أن يصل إلى مبتغاه.

٣ - تحديد الأهداف وتحديد المسار في وقت مبكر يعد شيئًا بالغ الأهمية: ما الذي أريده، وأين سأعمل، وماذا سأدرس، وإلى أين سأصل، وما وسائلي إلى كل ذلك.

٤ - التعليم له تأثير كبير في هذا الشأن؛ فالدراسة في جامعة ضعيفة كثيرًا ما يُفسد تصورات الطالب عن الآفاق الممتدة، وعن الفرص العظيمة، وعدم إكمال التعليم مشكلة أكبر، ولهذا فإن الحرص على نيل أعلى شهادة ممكنة ومن أفضل مكان ممكن يعد شيئًا في غاية الأهمية.

٥ - البيئة التي تحيط بالإنسان على مستوى الأسرة والأصدقاء والأقرباء وعلى مستوى الحي والعمل... تؤثر تأثيرًا كبيرًا في نوعية التطلعات والطموحات التي يبلورها الفرد لنفسه.

٦ - ليحاول الواحد منا أن يكتشف نفسه من جديد ليعرف

العوامل التي تجعل منه إنسانًا ممتازًا ينفع نفسه، وينفع اللَّهُ - تعالى - به عباده، وعليه بعد معرفة تلك العوامل أن يعمل على توفير ما يمكن توفيره منها، وعليه أن يتبع - بالنسبة إلى البيئة - القاعدة التالية: « أقيم وأعمل حيث أعطي وأنتج أكثر ».

* * *

٨
الجذور والأجنحة

إن تربيتنا لأبنائنا تقوم على أن نملِّكهم شيئين أساسيين؛ الجذور والأجنحة.

الجذور تعني أن نغرس فيهم كل القيم والمبادئ العزيزة على قلوبنا، وعلى رأسها قيمة التوحيد وحب اللَّه - تعالى - والتقوى والصدق والجدية والمثابرة والاستمرار في التعلم والتعاون...

غرس هذه القيم النبيلة والعظيمة يحتاج إلى القليل من الكلام والكثير من العمل، وإن إيجاد بيئة أسرية تتجسد فيها هذه القيم هو الإنجاز الأهم والأصعب، وهذا يحتاج إلى اعتماد مبدأ: نربي أطفالنا في الوقت الذي نعيد فيه تأهيل أنفسنا لنكون قدوة صالحة لهم.

إن نحوًا من (٥٠٪) من شخصية الطفل يتشكل في السنة الأولى من ولادته وحين يصبح في سن السابعة يكون نحو من (٨٠٪) من شخصيته قد أخذ وضعه النهائي، ولهذا فإن بناء عقول الأطفال ونفوسهم هو مهمة الأسرة بامتياز.

يحتاج أبناؤنا منَّا إلى جانب الجذور إلى أن نملّكهم أجنحة تمكِّنهم من مغادرة العش والطيران في فضاء الاستقلال الشخصي، وكثيرًا ما يكونون في حاجة إلى

الطيران بعد حصولهم على الثانوية حيث يذهبون للدراسة الجامعية في بلد آخر.

تمليكهم الأجنحة يقوم على الآتي:

١ - معاملتهم باحترامٍ وتقديرٍ لمواهبهم؛ لأن معاملة الفتيان والفتيات باحترام هي التي تفتح وعيهم على احترامهم لأنفسهم وتقديرهم لإمكاناتهم الشخصية.

٢ - الثقة بهم والتعامل معهم على أنهم أشخاص موثوقون وخيِّرون.

٣ - تفويض بعض شؤون المنزل إليهم كي يتحملوا مسؤوليتها؛ حيث إن الشخصية تنبثق من أعماق الشعور بالمسؤولية.

٤ - مشاورتهم في كل ما يُعَدُّ شأنًا عامًّا من شؤون الأسرة.

٥ - تعليمهم فن الحوار والتفاوض مع الآخرين.

٦ - شرح المبادئ الأساسية للسلامة الشخصية وتنبيههم إلى ما يشكِّل خطورة عليهم.

٧ - التواصل المستمر معهم وإشعارهم أننا سنكون إلى جانبهم حين يحتاجون إلينا.

* * *

٩
محطة القطار

يُحكى أن أحدهم قال لبعض أصدقائه: أودُّ أن أذهب إلى إيطاليا للسياحة والاستجمام، فما رأيكم بذلك؟ فقالوا له: إياك والسفر إلى إيطاليا، ولما سألهم عن ذلك قالوا:

البلد مملوء باللصوص، فإذا كنت مستعدًّا لسلب أموالك وأوراقك الرسمية فاذهب! قال الرجل: قد حدثوني كثيرًا عن ذلك البلد، ولا بد أن أذهب إليه. قال له أحدهم: إذا كنت مصرًّا على ذلك، فلا تذهب إلى المنطقة التي فيها محطة القطار الفلانية، فإن تلك المنطقة تعجُّ باللصوص. قال الرجل: لا بأس، لن أذهب إلى هناك مهما كان الأمر، وغادر صاحبنا إلى إيطاليا، وكان على حذر شديد من الاقتراب مما حذره منه أصحابه.

وبعد مدة احتاج إلى مال، فأرسل إلى أهله بأن يبعثوا إليه بحوالة مالية عاجلة، وخلال أيام وصلت الحوالة، لكن الشيء المزعج جدًّا هو أن تسلّم الحوالة سيكون من مصرف في المنطقة التي حذروه من الذهاب إليها، لكن لا بد مما لا بد منه، فذهب وهو شديد الخوف، وتسلّم الحوالة، ومضى وهو ينظر في كل الاتجاهات، وبعد دقائق إذا برجل يركض خلفه ويناديه من بعيد، فقال في نفسه: يبدو أن عملية

الاحتيال والسطو قد بدأت، فاستجمع كل ما لديه من قوة وشجاعة وانتباه، وخطا خطوات نحو الوراء ليرى ماذا يريد ذلك المحتال الذي يهرول نحوه، وكانت المفاجأة الصادمة هي أن الرجل قال له: يا سيدي هذه المحفظة سقطت منك عند باب البقالة التي خرجت منها!

إن الدرس المباشر من هذه الحكاية يكمن في أهمية الحذر من تعميم الأحكام التي نُصدرها على البلدان والأزمان والأشخاص؛ حيث لم تخل منطقة اللصوص من أشخاص يتحلّون بأعلى درجات الأمانة والنزاهة، وقد مضت مشيئة اللّه - تعالى - بأن لا يتركز الخير أو الشر في بلد أو قوم أو شعب، وإننا حين نذهب إلى بلد، فإن في إمكاننا أن نعثر على الناس الطيبين وأن نعثر على المجرمين والسيئين؛ ففي كل بلد كل شيء ومن كل نوع، وإن كل شخص سوف يعثر على من هم على شاكلته من هؤلاء وأولئك.

* * *

١٠
من اهتماماتهم تعرفونهم

كانت العرب تقول قديمًا: « تكلموا تُعرفوا »؛ حيث إن كلام الإنسان يعبر عن عقله وعن رؤيته للأشياء وعن تطلعاته وهمومه... لكن قد يكون ما عَنونّا به هذه الرسالة أدق، فاهتمامات الإنسان لا تعبر عن عقله وعلمه فحسب، وإنما تعبر عن خلاصة توجهه في الحياة وعن تفاعله مع المبادئ والقيم السامية وطريقة فهمه لها.

هناك فريق من الناس همهم الأكبر هو لفت الأنظار إليهم، فتراهم يبحثون عن الشهرة والظهور بأي ثمن ويتعلقون بالشكليات من كل نوع، فهذا يبحث عن رقم مميز لجواله، وهذا يبحث عن رقم مميز للوحة سيارته، وذاك يبحث عن قَصَّة جديدة لشعره، ورابع يبحث عن طراز جديد لثوب يرتديه... إن من غير الممكن أن نعثر على رجل عظيم يهتم بأشياء تافهة، كما أن من غير الممكن أن نعثر على إنسان وضيع يهتم بأمور عظيمة، وإن هناك عددًا غير قليل من الرجال الموهوبين الذين يملكون العديد من الصفات والمؤهلات التي تجعل منهم أشخاصًا عظماء، لكنهم لم يصبحوا عظماء، لا شيء سوى أن اهتماماتهم تافهة!.

في إمكان الواحد منا أن يتعرف على شخصيته وعلى

الطريق الأساسي الذي يمضي فيه من خلال الأمور التي تسيطر على تفكيره، وتوجِّه سلوكه ومواقفه، وتنظم ردود أفعاله، فإذا وجد أن الفوز برضوان اللَّه - تعالى - وظهور الإسلام وانتشار الفضيلة وغلبة الحق هي التي تستحوذ على جلِّ اهتماماته، فهذا يعني أنه من الصنف النبيل الذي يرجو الخير، ويُرتجى له، وإذا وجد أن ارتقاءه في وظيفته، وزيادة رصيده في (البنك) وإثارة اهتمام الناس به... هي التي تشغل باله، فإن عليه أن يتوقف فورًا؛ لأنه يمضي في طريق غير طريق أولياء اللَّه وغير طريق العظماء، وليعمل بجد على إعادة ترتيب أولوياته واهتماماته، ورحم اللَّه القائل: من عاش لربه ودينه عاش كبيرًا ومات كبيرًا، ومن عاش لنفسه وملذاته عاش صغيرًا ومات صغيرًا!

* * *

١١
الحقيقة تُحرِّرنا

إن العالم مملوء بالحقائق التي تتصل بحياتنا والتي يتوقف على فهمها وإدراكها ونوعية التعامل معها حل الكثير من مشكلاتنا والارتقاء بجوانب حياتنا المختلفة. الحقائق تنقسم إلى قسمين: بسيطة ومركبة.

الحقائق البسيطة ندركها على نحو سهل، وذلك كإدراكنا لساعات الدوام في العمل وإدراكنا أن فلانًا موجود معنا، وفلانًا خارج مكتبه ... هذا النوع ليس هو موضع حديثنا اليوم.

أما الحقائق المركبة، فإنها مثل درجة التماسك الاجتماعي الموجود في بلد من البلدان، ومثل حجم البطالة ودرجة الالتزام بتعاليم الإسلام في مجتمع من المجتمعات... ولعلي أُبدي حول هذا النوع من الحقائق الملاحظات الآتية:

١ - البحث عن الحقيقة والاعتراف بها وفهم مدى إدراكنا لها... عامل تحرير لعقولنا ونفوسنا، إننا بذلك نتحرر من الخوف والقلق والجهل وخداع النفس، ونمضي على طريق التعامل الراشد مع الواقع كما أننا نقف أمام مسؤولياتنا في مراجعة الأخطاء ونقد الذات وتحديد الجهات التي تتحمل تبعات التقصير والإهمال.

٢ - النفس البشرية لأسباب كثيرة تُعرض عن معرفة الحقائق، والناس كثيرًا ما يحاولون طمس القضايا وتسمية الأشياء بغير أسمائها، واللغة بما فيها من مرونة تساعدهم على ذلك، ومن الملاحظ أن في القرآن الكريم آيات عديدة تشتمل على عتاب للنبي ﷺ على شيء مما بدر منه كما هو الشأن في قبول الفداء من الأسرى والإذن للمنافقين في التخلف عن الجهاد... في عقب كل غزوة كبرى كانت آيات القرآن الكريم تتنزل من أجل وصف ما جرى في تلك الغزوة وبيان الأخطاء التي ارتكبت فيها، وكل ذلك حتى يشكر الناس اللَّه على النصر ولا يحوّلوا الهزيمة إلى نصر أو نصف نصر كما يفعل كثيرون اليوم. معرفة الحقيقة قد تكون مُرَّة ومؤلمة، لكن ذلك يظل أفضل من تجاهلها وتزويرها.

٣ - نحن نختلف في فهم الحقائق الكبرى وفي طرق معالجة المشكلات المعقدة، وهذا طبيعي، لكن من المهم أن أدرك أن ما لديّ من رؤى وحلول لظاهرة كظاهرة التخلف الحضاري في بلدي - مثلًا - هو جزء من الحقيقة وباقي الأجزاء عند غيري؛ ولهذا فإن البحث والحوار والاستفادة من آراء الآخرين يكون أمرًا بالغ الأهمية لتكامل الرؤية.

٤ - رؤيتنا للحقائق وإدراكنا لها يخضع دائمًا لشروط ومعطيات مختلفة. وهكذا فرؤية الناس لخطورة البطالة والتدخين والشذوذ الجنسي والرشوة - مثلًا - تختلف من

زمان إلى زمان ومن مكان إلى مكان بحسب زاوية النظر وحجم المعلومات والمفاهيم المتوفرة، ولهذا فإن فهمنا لكل ذلك هو فهم نسبي غير مطلق، ويجب أن نأخذ هذا بعين الاعتبار.

* * *

١٢
تحفيظ الكتاب العزيز

إنني أشعر أن من واجبي أن أتوجه بالتحية والإكبار، لكل أولئك الكرام الذين يقومون على جمعيات ومعاهد تحفيظ القرآن الكريم.

وكل أولئك الذين يبذلون جهودهم في إقراء القرآن الكريم وتحفيظه وجميع الداعمين لهم، حيث لا يخفى أن ما حدث على هذا الصعيد خلال العقود الثلاثة الماضية شيء يدعو إلى الإعجاب. أسأل اللّه للجميع المثوبة والقبول.

كنت أشرت في الرسالة السابقة إلى وجود قصور في طرق تحفيظ القرآن الكريم والتعامل مع الأطفال الذين يرتادون حلقاته في أحيان كثيرة، وقد يكون من المفيد الإلمام ببعض الأسس في هذا الشأن :

١ - لا يستفيد الأطفال من التردد على حلقات التحفيظ إلا إذا كانوا راغبين في ذلك، ومن المألوف جدًّا أن يشعر الطفل في البداية بشيء من التخوُّف والنفور والملل، ومن الطبيعي أن يمارس الأهل شيئًا من الضغط على الطفل، لكن هذا في البداية، وبعد ذلك ينبغي أن تكون الحلقة جذابة بما فيه الكفاية لحضور الطفل، وإلا فإن الفائدة ستكون قليلة أو معدومة.

٢ - إذا لم يُبد الطفل رغبة في الحضور كل يوم إلى الحلقة، فينبغي ألا ننزعج من ذلك، ونوافق على أن يذهب إليها ثلاثة أيام في الأسبوع.

٣ - ينبغي أن يكون الهدف الأساسي من الحضور إلى الحلقة هو التهذيب والتربية وصقل الشخصية وليس الحفظ، وهذا يعني ضرورة أن يكون القائمون على الحلقات مؤهلين للقيام بهذا الدور.

٤ - تعلم التجويد وحفظ النصوص - مهما كانت - من الأمور التي ينفر منها كثير من الأطفال، ولهذا فالمطلوب التخفيف من حِدَّة ذلك، من خلال تخفيف ضبط إيقاع الحركة في الحلقة وإتاحة الفرصة للحديث والحوار، ولا بأس أن يتخلَّل ذلك شيء من الحكايات الجميلة ذات المغزى التربوي.

٥ - اللعب والمرح هما قوت الروح بالنسبة إلى الطفل، ولهذا فإن من المهم جدًّا أن يكون هناك زوايا ومساحات للعب الأطفال ولهوهم تحت إشراف شيخ الحلقة بالإضافة إلى توفير شيء من الحلوى والمشروبات اللذيذة والمفيدة.

تكون الحلقة مفيدة ونافعة ومؤثرة إذا شعر الطفل بالانزعاج في اليوم الذي لا يذهب فيه إليها، كما يشعر بعض الأطفال بالانزعاج في الأيام التي لا يذهبون فيها إلى روضاتهم.

هذا هو ميزان النجاح.

١٣
الرجال مواقف

إننا إذا تأملنا في حياتنا وجدنا أنها عبارة عن سلسلة من المواقف المتتابعة، وفي كل موقف نضيف إليها تفصيلًا ونمنحها لونًا جديدًا، ومن مجموع الألوان والتفصيلات تتكون السيرة الذاتية للواحد منا. نحن جميعًا إلى زوال، وحين نغادر هذه الحياة سنجد أن أعمالنا قد سبقتنا إلى الحياة الجديدة والأبدية، وهنيئًا لأهل الصلاح والاستقامة وأهل السِّير النظيفة والسرائر النقية.

الرجال يذهبون وتبقى المواقف، لكن أي مواقف تلك التي ستلهم الأجيال القادمة، وتشكِّل منارات هداية على دروبهم الطويلة؟

المواقف التي ستبقى هي:

- المواقف التي رفضنا فيها الذل والإهانة؛ لأن لكرامتنا عندنا شأنًا يستحق التضحية.

- المواقف التي وقفنا فيها ضد المغريات التي تريد منا التنازل عن مبادئنا وقيمنا في سبيل عَرَض زائل.

- المواقف التي انتصرنا فيها لمظلوم، وناصرنا فيها مستضعَفًا يتعرض للابتزاز.

- المواقف التي تسامحنا فيها مع مخطئ، وقبلنا فيها اعتذار من اعتذر إلينا.

- المواقف التي بادرنا فيها لسنِّ سُنّة حسنة، وفتحنا من خلالها حقلًا جديدًا للممارسة والعطاء.

الأمة بحاجة إلى الرجال العظماء، والرجل العظيم يساوي مجموع مواقفه، ومعظم الناس ليس لهم مواقف عظيمة، أو لهم مواقف صغيرة لم يرها، ولم يسمع بها أحد، وقد صدق من قال: لدينا الكثير من الذكور، والقليل من الرجال!

ما علينا...

المهم أنا وأنتم: ما الذي علينا أن نعمله؟

* * *

١٤
قلق وقلق

بإمكاننا القول: إن لدينا نوعين من القلق: قلق العقل وقلق النفس، ولا بأس في أن نسلط الضوء على كلٍّ منهما:

- إن قلق العقل هو ذلك التحفز الذهني الذي يولده الشعور بالمسؤولية، إن صاحب العقل القَلِق يصعب عليه الاندماج في الواقع والاستكانة للظروف، كما أنه يفكر في كيفية قيامه بواجباته وإبراء ذمته، إنه يخشى ذنوبه، ويفكر في أمور أمته، فيدفعه ذلك إلى القيام بشيء ما، إن صاحب العقل القَلِق يرى ما لا يراه الناس ويطمح إلى ما لا يطمحون إليه؛ لذلك فإنه يشعر بنوع من المعاناة، لا يشعر به الإنسان العادي، وقد كان السابقون يدركون هذا المعنى، فعبروا عنه بتعبيرات مختلفة، فهذا عمر ﷺ يقول: « واللَّه لو عثرت شاة في أرض العراق لخشيت أن يسألني اللَّه عنها، يقول: لمَ لم تعبد لها الطريق؟!» وهذا عبد اللَّه بن مسعود ﷺ يقول: « إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرّ على أنفه، فقال به هكذا، فذبّه عنه» رواه البخاري.

وقد قال رجل للإمام أحمد بن حنبل: إنك تقول كلامًا يعيبه عليك السلطان، فلو أنك تحدثت في أمور العبادة...

فقال أحمد: إنك من أصحاب العقول المستريحة!

نعم إن هموم الكبار كبيرة، وإن هموم الصغار صغيرة، لذلك يمكن أن نقول: من همومهم تعرفونهم، فهنيئًا لأهل الهموم الكبيرة الذين جعلوا الفوز برضوان اللَّه - تعالى - وكل ما يُدني منه شغلَهم الشاغل!

- أما قلق النفس فإنه نوع من التوتر وعدم الاستقرار الناتج من الخوف من شيء غامض موجود، أو يمكن أن يكون في المستقبل.

القلق في الأساس مهم؛ لأنه جزء مما هو مطلوب لتوازن الشخصية، لكنه حين يزيد على حدٍّ معين، فيمنع صاحبه من النوم، أو يُضعف إنتاجيته، أو يدفعه إلى العزلة - فإنه يصبح مشكلة تحتاج إلى علاج.

أحيانًا يكون الغموض هو مصدر القلق، وحينئذ فإن الوقوف على حقيقة ما يُقلقنا يُزيل القلق، مثل الذي يخاف من أن يكون ضغطه مرتفعًا، فإن الحل هو أن يقيس ضغطه، ومثل الذي يقلق لظنه أن صديقه منزعج منه، فعلاجه مصارحة الصديق وسؤاله عن ذلك.

وأحيانًا يكون القلق مظهرًا لاضطراب الإدراك والوقوع في مصيدة الأوهام، ومن كان هذا شأنه، فإنه يحتاج إلى مراجعة طبيب نفسي.

إن الحياة فرصة عظيمة للرقي، وإن فيها الكثير من المباهج، ومن المهم ألَّا نستهين بها فنحيا على هامشها، وألَّا نخطئ في عيشها فنتنفس أكدارها ومزعجاتها.

* * *

١٥
التعلم من الماضي

إن اللَّه - جل شأنه - قصَّ علينا أخبار الماضين كي يتحسن وعينا، وكي نتخلص من كثير من الأوهام التي تصنعها الطموحات الكبيرة والآمال العريضة... إن السنن التي بثَّها اللَّه - تعالى - في الكون أضفت على الوجود نوعًا من الوحدة، وعلى تتابع أحداثه درجة عالية من المنطقية، ومهمتنا أن ننظر إلى الماضي ونتعلم منه الكثير الكثير؛ لأننا من خلال المستخلصات التي سنحصل عليها من وراء قراءته سوف ننظر إلى المستقبل، ولعلنا نتأمل في أمرين مهمين:

١ - إذا قلت في نفسك: إذا ملكت مئة مليون فسوف أكون أسعد الناس، وسوف أعمل كذا وكذا... ولن أترك بلدًا حتى أسافر إليه، ولن أدع فقيرًا بين أقربائي إلا أسعفته وساعدته، ولن ولن...

قد تجد الجواب الحقيقي عن أحلامك لدى أولئك الذين ملكوا مئات الملايين، لكنهم لا يشعرون أنهم سعداء، كما أن فيهم من لا يدفع زكاة ماله، فضلًا عن أنه يصل رحمه، وفيهم من لا يجد وقتًا للجلوس مع عائلته فضلًا عن أن يدور بها أرجاء الأرض...

العظة البليغة من هذا تكمن في عدم تأجيل أي شيء وتعليقه

على شيء قادم؛ لأن قدوم الغائب المنتظَر قد لا يحدث أبدًا، وإذا قدم فإنك في الغالب لن تفعل ما كنت تتوهمه...

لا تؤجل سعادة أي يوم من أيام عمرك انتظارًا ليوم أو حدث قادم، ولا تؤخر أي عمل خير انتظارًا لظرف أفضل، وإلا وقعت في شبكة الأوهام.

٢ - من الناس من يقول: إذا فرغت من المشروع الفلاني أو المهمة الفلانية، أو إذا خرجت إلى التقاعد فسأهتم بصحتي وسأقرأ أكثر، وسوف أنظم زيارات متتابعة لأخواتي وعماتي وخالاتي... هذا كثيرًا ما يكون وهمًا؛ حيث إن معظم الناس لا ينتهون من مشروع حتى يجدوا أنفسهم وقد انغمسوا في مشروع جديد، وكثير منهم خرجوا إلى التقاعد من الوظيفة التي قضوا فيها معظم أعمارهم، ثم انخرطوا في عمل جديد، ومنهم من لم يمارس الرياضة حين أحيل إلى التقاعد... ولك أيضًا أن تستفيد من تاريخك الشخصي في هذا الشأن... إنه التسويف والهروب من استحقاقات الخطة الراهنة وحين يمضي العمر ونجد أنفسنا عاجزين عن عمل أي شيء وعن الاستدراك على أي شيء نقرع سن الندم، ولات ساعة مندم....

الخلاصة: إذا أردت أن تعرف المستقبل، فانظر إلى الماضي ففيه عبرة وعظة وجواب عن كثير من التساؤلات وحسم لكثير من الأوهام والخيالات.

* * *

١٦
نقطة تحول

نصادف في حياتنا الكثير من الشباب والرجال الذين يتصفون بدرجة عالية من الذكاء والمعرفة، كما نصادف أناسًا نشأوا في بيئات ثرية ومتعلمة، وأناسًا درسوا في جامعات ممتازة... ومع ذلك لا نجد أنهم حققوا اختراقات عظيمة لا على صعيد القدوة الحسنة لغيرهم ولا على صعيد الإبداع ولا على صعيد النجاح الوظيفي... حتى إن في إمكاننا أن نقول: إن أكثر من (٩٥٪) من الناس هم أشخاص عاديون، وإن المتميزين جدًّا قد لا يصلُون إلى واحد في الألف...!

الحقيقة أن أسباب هذه الظاهرة غامضة واكتشافها صعب، وربما كان السبب الأكثر تأثيرًا هو الأشد غموضًا، وأقول من باب الظن والاجتهاد الفكري:

إن السبب الجوهري ينبع من القرارات التي اتخذها ويتخذها الناس في حياتهم.

إننا نمر بالكثير من المنعطفات الحاسمة التي تتطلب قرارات شجاعة وحكيمة، ويبدو أن الذين يملكون قدرًا كافيًا من الرشد لاتخاذ قرارات ممتازة هم دائمًا قليلون، مما يؤدي في نهاية المطاف إلى قلة الكفاءات الممتازة والممتازة جدًّا.

رجل لديه قدر جيد من المال وكان محتاجًا إلى شراء

بيت يسكنه كما أن لديه أولادًا يحتاجون إلى إكمال دراساتهم العليا، ولا بد من توجيه المال إلى الشراء أو تعليم الأبناء، قرر شراء بيت، وحرم أبناءه المحبين للعلم والمتفوقين في دراستهم من فرصة التزود من المعرفة المنظَّمة ومن التدرب في مكان جيد، إنه بهذا القرار قد جعلهم ينخرطون في وظائف هي أقل بكثير من الوظائف التي يمكن أن يحصلوا عليها لو نالوا شهادة الدكتوراه.

هذا شاب أنهى دراسته الثانوية وكان أمامه خيار دخول الجامعة وخيار معاونة والده في مزرعته، فاختار العمل في المزرعة، ولا شك أنه بذلك ابتعد كثيرًا عن طريق التميز والذي كثيرًا ما يمر في عصرنا هذا بالجامعات والدراسات العليا. شاب وجد نفسه أمام اتخاذ قرار فيه نوع من المغامرة بالكثير من ماله، فأحجم عن اتخاذ القرار وكانت النتيجة أنه ظل فقيرًا، على حين أن زملاءه في التجارة كوّنوا ثروات عريضة من وراء مغامراتهم المحسوبة وهكذا...

هل هذا يعني أن على شبابنا وفتياتنا أن يمنحوا أنفسهم ما يكفي من الوقت قبل أن يتخذوا أي قرار رئيسي وجوهري، وهل يعني هذا أن عليهم أن يحاولوا فهم الآثار والمعطيات التي تترتب على كل قرار يريدون إصداره؟ أظن ذلك، ومع هذا فإن للاستخارة والاستشارة شأنًا عظيمًا في الاهتداء إلى القرار الصحيح.

١٧
أبوه ما ربَّاه

ذكروا أن فتًى يافعًا ارتكب جريمة شنيعة، فحُكِم عليه بالإعدام، وحين حضر الناس ليشهدوا تنفيذ الحكم، تقدم شخص، وقال: أوقفوا التنفيذ، وأوقعوا العقوبة على أبيه الذي لم يُحسن تربيته. هنا قال الفتى: أبي رباني، ولكن أباه ما رباه. لو سألنا الأب: لماذا لم تربِّ ابنك كما ينبغي، فصار مجرمًا؟ لقال: قد بذلت جهدي في تربيته، وربما قال لنا الرجل: أنا ربيته لكن أبي ما رباني! وهكذا تحال القضية في نهاية الأمر على مجهول!.

نعم لا يكفي أن نكون حريصين على تربية أبنائنا، ولا يكفي أن نحبهم بغير حدود، بل لا بد مع هذا من أمرين:

- **الأول**: أن نتعلم كيف نربيهم، وأن ندرس ونقرأ بعمق في الثقافة التربوية، وهذه قاعدة عامة، فالعمل حتى يكون صحيحًا ومقبولًا يفتقر إلى أمرين: الإخلاص والصواب.

- **الثاني**: البيئة التي نربي فيها أبناءنا والبلد الذي يعيشون فيه معنا، وهذا يجعلنا نفكر في دورنا في الإصلاح العام وفي الاستثمار في الوعي المشترك، فقد رأيت أطفالًا أذكياء نبهاء، لكنهم يعيشون في فاقة وحرمان وبؤس محزن، وما ذلك إلا لأنهم شبُّوا وترعْرعُوا في بيئات ضرب فيها التخلف

أطنابه، وسادها الفقر والفوضى والكسل والجهل والظلم والاستبداد... فصار الطفل يشعر وكأنه يعيش في سجن مكبلًا بالقيود، فما يكون منه سوى أن يستسلم، ويعاني نفس المعاناة التي عاشها آباؤه وأجداده من قبل.

قد ثبت أيها الإخوة والأخوات أن أقوى المعوقات ليس المعوقات المادية بأنواعها، وإنما المعوقات الذهنية والنفسية والأخلاقية، تعالوا لنبذل الجهود من أجل تحسين كل ما هو مشترك بيننا، تعالوا لنرسخ الإيمان في القلوب، والصدق في التعامل، وتعالوا لننشر كل ما لدينا من خبرة وعلم وفكر ووعي حتى نضيء به العقول والقلوب، تعالوا لنجعل متعتنا الحقيقية في البذل والعطاء وتضميد الجراح، تعالوا لنعمل على أن تكون البيئات التي نعيش فيها مغمورة بالرحمة والمودة واللطف والمراعاة، تعالوا لنعيش ما تبقى لنا على هذه الأرض كما يريد اللَّه - تعالى - وحتى لا يقول الأحفاد: آباؤنا ما ربونا، ولا رباهم آباؤهم...

* * *

١٨
إما العقل وإما العضلات

في زماننا هذا برزت معادلة جديدة في الحياة العامة، ومع أن أساس المعادلة موجود منذ زمان سحيق إلا أنها تتجسد في حياتنا اليوم على نحو لم يسبق له مثيل، المعادلة تقول: أنت مخير فإما أن تستخدم عقلك من خلال التفكير المدعوم بمعرفة جيدة، وإما أن تستخدم عضلات رجليك ويديك في أعمال مهنية شاقة. في الماضي كانت مساهمة المعرفة والذكاء في تحسين مستوى الحياة الخاصة محدودًا، وكان من المألوف جدًّا أن ترى عالمًا كبيرًا، لا يجد عشاء يومه، أما اليوم فالعلم والذكاء والتفكير المنهجي الصحيح والمهارات المصقولة، هي الطريق للظفر بوظيفة جيدة ومنصب كبير وموقع مؤثر... **الفكرة الجوهرية** التي أود أن تحملها هذه الرسالة إلى إخوتي وأخواتي تتلخص في الآتي:

- روح العصر تقوم على الاختصار من الجهد البدني إلى الحد الأدنى والعمل على جعل الجهد العقلي في غاية الفعالية، ولهذا فإن الواحد منا كلما وجد نفسه في أعمال تقوم على استخدام العضلات دلَّ ذلك على حاجته الماسة إلى المزيد من التعلم والمزيد من المهارات العقلية.

- كان الناس في الماضي يفرحون بالأطفال والفتيان

عندما يصبحون قادرين على كسب رزقهم ومساعدة آبائهم في مهنهم وأعمالهم، وقد تغير هذا اليوم، حيث صار من علامة تقدم الأمة طول فترة طفولة أبنائها وبقاؤهم مدة طويلة على مقاعد الدراسة، ولهذا فإني أعتقد أن إخراج فتى من الدراسة قبل أن ينهي المرحلة الابتدائية أو المتوسطة (الإعدادية) يعادل قطع طرف من أطرافه في إلحاق الضرر به؛ بل يزيد.

- يجب أن نرفع شعار (التعلم مدى الحياة) فلا نكف أبدًا عن القراءة وحضور الدورات التدريبية والحصول على الشهادات المختلفة....

- لا تيأس أبدًا إذا لم تجد من يُقَدّر ما لديك من علم وخبرة، فهذا سيحصل ولو بعد حين، ولا يصح أن نتوقف عن اكتساب المزيد من العلم بسبب ذلك.

* * *

١٩
للقمة طريقان

الهمُّ الذي يسيطر على كل العظماء هو تطوير الواقع نحو الأفضل، ولكل عظيمٍ أسبابُه ووسائله في المساعدة على ذلك، **لكن هناك طريقَان طويلان عريضان، هما:**

- **بذل جهود إصلاحية وخيرية واضحة ومؤثرة تلفت** نظر المؤرخ، فيتوقف عندها ليسجلها ويشيد بها.

- **والثاني: كتابة شيء يستحق القراءة** لما فيه من فائدة وإبداع وتطوير...

يتوقف التاريخ مرتين:

- يتوقف مرة ليسجل مواقف التمنع والتأبي على المساومة على الدين والعِرض والكرامة، ويتوقف أخرى ليسجل الإيثار والفداء والعطاء غير المحدود، وأتمنى أن يبذل الباحثون الشباب جهودًا مقدرة في جمع مواقف الممانعة ومواقف السخاء والفداء لرجال ونساء معاصرين حتى يعرف الأطفال أن أمتنا أمة ولود، ومملوءة بالعظماء الأتقياء الأخفياء، ولعل تنشيط حركة المقابلات الشخصية للقادة والعلماء والأسخياء في بذل المال.. **يجعلنا نطَّلع** على صور حية وثرية للعظمة الذاتية.

- الطريق الثاني للقمة: هو أن نحاول أن نكتب شيئًا يستحق القراءة، وهذا الطريق لا يقل في أهميته عن الطريق الأول؛ لأن التصورات والأفكار والمفاهيم العظيمة هي التي تجعل فهمنا لأنفسنا وتاريخنا وواقعنا والعالم من حولنا... شيئًا ممكنًا، وأتمنى في هذا الإطار أن تؤسس وزارات الثقافة ورشًا لتعليم الفتيان والشباب أصول الكتابة الإبداعية وتدريبهم على صياغة النصوص العظيمة، وقد ذكر أحد الباحثين أن في فرنسا وحدها نحوًا من مئة ورشة تتيح للراغبين في المشاركة في الإنتاج الثقافي تعلُّمَ الدخول إلى عالم الكُتَّاب والكتابة، وليس لدينا في أي بلد عربي - فيما أعلم - أي شيء من هذا القبيل. في روح وعقل كل واحد منا شرارة صغيرة ربما تصبح من خلال النفخ فيها نارًا عظيمة تضيء عقول وقلوب الملايين، فهل من مجرب؟

* * *

٢٠
حينما نفقد الهدف

هذه الدنيا دار ابتلاء واختبار، فكل ساعة تمرُّ علينا هي فرصة لا تعوَّض بالنسبة إلى كل واحد منا، وإن الطريق أمامنا إلى حيث الراحة الأبدية طريق طويل وشاق: « **حُفَّت الجنة بالمكاره، وحُفَّت النار بالشهوات** » كما أن الطريق إلى المعالي في هذه الدنيا ليس مفروشًا بالسجاد الأحمر؛ ومن ثم فإن من المهم جدًّا أن نفكر جيدًا في المصير الذي سنؤول إليه.

إن العمل من أجل المستقبل الدنيوي والأخروي يظلُّ ضعيفًا ما لم نجعل لأنفسنا أهدافًا واضحة، ونقوم بالعمل من أجلها على نحو صارم وجاد، وقد ثبت مما لا يحصى من التجارب والمشاهدات أن الوقت سوف يتفلت من بين أيدينا، ويضيع سدًى ما لم نضغط عليه بآمال وأهداف مستقبلية.

قد صرنا نتندر على أنفسنا في المجالس حين نتحدث عن إنتاجية الموظف العربي وعن المواعيد العربية وعن عدد الكتب التي يقرؤها العربي في السنة... إن الأرقام الدالة على كل ذلك تدعو إلى الأسى والخجل! إن العمل الجاد يجعل الواحد منا يشعر بالامتلاء الروحي، وإن البطالة هي أكبر مصدر للشعور بالتفاهة والإحساس بالفراغ الروحي والفكري

نحن نحتاج على صعيد رسم أهدافنا إلى أن يكون لنا الآتي:

١ - هدف بعيدي المدى قد يستغرق الوصول إليه ما بين عشر إلى خمس عشرة سنة.

٢ - هدف سنوي يكون إنجازه عبارة عن خطوات على الطريق في اتجاه الوصول إلى الهدف البعيد.

٣ - هدف أسبوعي يصب في الهدف السنوي، ويساعدنا على ضبط إيقاع حركتنا اليومية.

إذا لم يكن لدينا أهداف واضحة ومبرمجة فإننا نكون قد أسلسنا قيادنا للآخرين كي يتحكموا بنا، وحينئذ سنجد أن حياتنا قد امتلأت بالأنشطة غير المهمة وغير المثمرة.

من المهم أن تكون أهدافنا مشروعة ومتصلة على نحوٍ ما بالفوز برضوان اللَّه - تعالى - وأن تكون ملائمة؛ حيث إن بعض الناس يضعون لأنفسهم أهدافًا متواضعة لا تتحداهم، ومن ثم فإن ما يحصلون عليه في النهاية قليل، قليل. ومن الناس من يرسم لنفسه أهدافًا كبيرة جدًّا، فيشعر حيالها بالعجز والانكسار، وتصبح مصدرًا لشعوره بالشقاء، الهدف الجيد هو هدف يتحدى، ولا يعجز، ولنتذكر دائمًا قول نبينا ﷺ : « **نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ** ». وإن كثيرًا من عظماء العالم لم يصبحوا عظماء

إلا لأنهم وجدوا الوقت الذي يقدمون فيه ما قدموه وإن كثيرًا من الشباب فسدوا بسبب الفراغ الذي لم يجدوا من يساعدهم على الاستفادة منه.

* * *

٢١

خيِّرون ولكن...

إن من الملاحظ أن لدينا نسبة جيدة بحمد اللَّه من الشباب والكهول الخيِّرين المتمسكين بأهداب الدين القويم، وهذا شيء يبعث الرضا في النفس، ويدعو إلى التفاؤل، لكن كثيرًا من هؤلاء يتلخص التزامه في عدد محدود من الأمور، فهم في الغالب لا يقعون في الكبائر، وإذا حدث ذلك فإنه يكون عبارة عن هفوة عابرة، كما أنهم يؤدُّون الفرائض، فهم يُصلُّون ويصومون، ويُزكُّون؛ أي إنهم على تخوم الالتزام.

ويمكن لك أن تلاحظ عليهم بوضوح أمرين أساسيين:

- الأول: هو الغفلة والذهول عن التفكير فيما بعد الموت وضعف الإحساس بمعية اللَّه - تعالى - وأنه مطلع عليهم، وهذا الإحساس هو الذي يولِّد الحب والخشية والحياء والتوكل والإنابة... ويجعل للحياة طعمًا مختلفًا. إنك ترى الواحد منهم قد أدى الصلاة - غالبًا في بيته - دون أن يسبِّح عقبها، أو يكون له ورد من ذكر أو قراءة قرآن أو قيام ليل..

- الثاني: الانكفاء على الذات؛ حيث تجد أن دوائر اهتمامات الواحد منهم تضيق يومًا بعد يوم، حيث لا تشعر أنهم يهتمون بأخبار أرحامهم أو بلادهم أو أمتهم، إنهم مشغولون بأنفسهم (شغلتهم أنفسهم) وبالمنتجات التقنية

الحديثة، وحين تحدثهم عن هموم المسلمين فإنهم يُظهرون الضيق، ويبحثون عن وسيلة لتغيير مجرى الحديث!.

إن مشكلة هذا الصنف من الناس تكمن في أمرين:

- الأمر الأول: هو أنهم حَرَموا أنفسهم وأرواحهم من الصقل العظيم الذي يظفر به المكثرون للتنفل، والحريصون على أن تظل ألسنتهم وقلوبهم رطبة بذكر اللَّه - تعالى - وأولئك الذين لهم مشاركات تطوعية وخيرية جيدة.

- الأمر الثاني: هو أن بنية التدين لديهم تكون هشَّة، فمن السهل أن يجد أحدهم نفسه بعد مدة، وقد صار يفرِّط في بعض الواجبات، ويقع في بعض الكبائر والمنكرات العظيمة.

والأخطر من هذا أن درجة التزام كثير من أولادهم كثيرًا ما تكون أقل من درجة التزامهم، و في هذا خسارة كبيرة جدًّا!!

قد آن الأوان لهذه الفئة الطيبة من الناس أن تستيقظ وتصحو من غفلتها، ففي التعبد والتقرب إلى اللَّه - تعالى - ومساعدة الناس خير عظيم عاجل وآجل؛ بل إن ما ذكرناه هو الذي يجعلنا نشعر أن لحياتنا معنًى، وأنها تختلف عن حياة الجماهير التائهة!.

* * *

٢٢
المسلم إنسان

قد يقول قائل: ما هذا العنوان، وما هذه الرسالة؟ وهل هناك من يشك في هذا، أو يجادل فيه؟!

نعم، ليس هناك من يشك في أن المسلم إنسان، لكن التعامل مع هذه الحقيقة لا يتم أحيانًا وفق ذلك، وأنا هنا لا أريد أن أتحدث عن نوعية معاملة الإسرائيليين للفلسطينيين، **ولكن سأتحدث عن جهتين لا تهتمان بإنسانية الإنسان المسلم:**

- **الجهة الأولى**: تتمثل في واضعي خطط التنمية في معظم الدول الإسلامية؛ حيث إنك تجد اهتمام الخطط منصبًّا على نحو شبه كلي على التنمية الاقتصادية، ويتم غض الطرف عن التنمية الإيمانية والروحية والخلقية والعقلية، وكأن حاجات الإنسان المسلم مقتصرة على الغذاء والدواء والمسكن والملبس، إنهم بذلك يجعلون حاجاته قريبة من حاجات الحيوان!

ومن المؤسف أن بعض كُتَّابنا صاروا اليوم ينظرون نظرة إشفاق لمن يتحدث عن التنمية الروحية، فهذا يتنافى مع روح العلمانية ومبادئها!.

- **الجهة الثانية**: هي الجمعيات الخيرية والتجار والمتبرعون على نحو عام ، وأنا هنا لا أعمم، لكن أتحدث

عن ظاهرة واسعة الانتشار؛ حيث إنك تجد أن معظم التبرعات تذهب لإطعام الجياع وبناء المساجد وحفر الآبار وإغاثة اللاجئين؛ ونجد القليل جدًّا من الإنفاق على بناء المدارس والجامعات وعلى التدريب والابتعاث لنيل شهادات عليا وطباعة الكتب والتربية والتثقيف على نحو عام... وكأن المهم لدى هذه الجهات هو أن يبقى المسلم حيًّا، ولا مشكلة في أن يظل يتلقى المساعدات طوال حياته، كما أنه لا مشكلة في أن يكون مستقيمًا أو منحرفًا، فاعلًا أو كلًّا، واعيًا أو مغفَّلًا... يحدث هذا في زمان تتفاخر فيه الأمم بالكيف والنوعية لا بالكم والكثرة!

من مقولات حكماء الصين: إذا قدمت لي سمكة، فقد وفرت لي غداء يوم، وإذا علمتني كيف أصيد، فقد قدمت لي غداء كل يوم، وإذا علمتني كيف أصنع السنارة، فقد فتحت لي طريقًا إلى الثراء.

إنني أوجه نداء إلى القائمين على المؤسسات الخيرية وإلى أثرياء الأمة بأن ينفقوا بسخاء على التعليم والتربية والتثقيف ونشر المعرفة، فهذا أنفع للفقير، وأنفع للأمة، وأدوم لأثر الخير.

* * *

٢٣
ليس بأي ثمن

لدينا عبارة دارجة على الألسنة، مفادها: أريد الحصول على الشيء الفلاني بأي ثمن، هذا يريد الحصول على الوظيفة الفلانية بأي ثمن، وهذا يريد أن يتزوج فلانة بأي ثمن، وهذا يريد إيذاء فلان بأي ثمن.. عبارة تتكرر ملايين المرات على أفواه الناس كل يوم، ولا شك ابتداء في أن كثيرين منا لا يعنون ما يقولون، فهم عمليًّا غير مستعدين للتضحية بكل شيء من أجل الحصول على شيء محدد، وإنما يريدون أنهم مستعدُّون لدفع الثمن ولو كان باهظًا، لكن إلى جانب هؤلاء، من لا يبالي فعلًا بأن يبدو وكأنه مستعدٌّ لعمل أي شيء حتى يصل إلى مبتغاه، وإلى هؤلاء بالضبط يتجه الحديث في هذه الرسالة.

نحن أيها الإخوة والأخوات أصحاب قدرات وطاقات وفرص مهما عظمت فهي محدودة، فلا يستطيع أثرى رجل في العالم أن يقول: سأنفق بلا حدود على أي شيء؛ لأن هذا يعني الجنون والإفلاس معًا، ولهذا فإن كل العقلاء يتصرفون ضمن حدود يرسمونها لأنفسهم. نحن المسلمين نتحرك ضمن قيود من عقولنا وخبراتنا ومصالحنا كما يتصرف كل البشر، ونزيد على كثيرين غيرنا في أن على حركتنا قيودًا من

دیننا وقيودًا من كرامتنا ومروءاتنا؛ ولهذا فإن كل ما نسعى إلى الحصول عليه يقع ضمن معادلة تقول: ما الثمن الذي يستحقه فعلًا حصولنا على كذا؟ المسلم الملتزم ليس مستعدًّا لدفع الرشوة من أجل الفوز بصفقة كبيرة، وليس مستعدًّا لأن يذل نفسه من أجل الحصول على ترقية، وليس مستعدًّا لتضييع فريضة من أجل كسب سريع..

إذن يكون المسلم كريمًا وشهمًا وصالحًا كلما وجدته يقول: ديني لا يسمح لي بكذا.. كرامتي لا تسمح لي بكذا.. مروءتي لا تسمح لي بكذا، إن لديه أشياء عزيزة لا يمكن أن يبذلها مهما كانت المغريات التي تُقدَّم إليه. العولمة تنشر اليوم روح المساومة والتنازل، وتشجِّع على الصفقات التي يمكن أن تتم خارج كل إطار أخلاقي وكل معادلة شريفة؛ وعلينا أن نقاوم ذلك بكل وسيلة؛ فلدينا أشياء كثيرة ليست للبيع.

هناك شيء واحد يمكن أن نبذل فيه كل شيء، ونعمل من أجله كل شيء وفق المنهج الإسلامي والرؤية الإسلامية. هذا الشيء هو رضوان اللَّه - تعالى - والفوز بمكان مرموق في دار كرامته، هذا الشيء تُبذل من أجله النفوس والأموال.. الجنة هي الشيء الوحيد الذي يمكن أن نبذل من أجله خارج كل المعادلات في إطار المنهج الرباني الأقوم؛ ولهذا كانت الشهادة في سبيل اللَّه - تعالى - ومن أجله،

وانخلع كثيرون عن ثرواتهم، وصبر كثير من المسلمين على الآلام والعذابات واثقين بموعود اللَّه.

وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

* * *

٢٤
وأنا أيضًا مسلم

كان أحد الشباب المسلم يستعد لدخول صالة الرُّكاب في أحد مطارات أوروبا، وإذا بشاب يتقدم إليه، ويطلب منه أن يحمل معه بعض قطع الحلي من (الألماس) إلى حين بلوغ محطة الوصول التي يقصدانها، فقال الشاب: لماذا تريد مني أن أحملها لك؟ قال: حتى لا أدفع عليها (جمارك) ، هنا قال الشاب: إن ديني يمنعني من مخالفة النظم والقوانين، لهذا أرجو منك المعذرة، قال الشاب: ما دينك؟ قال: أنا مسلم. قال الشاب: وأنا أيضًا مسلم!.

هذا هو واقع الحال، فالحساسية نحو المحرمات والممنوعات تشكل فارقًا كبيرًا بين مسلم ومسلم. ويمكنني القول: إن إحدى العلل الكبرى في ديار العرب والمسلمين تكمن في أن الناس يريدون العيش وفق رغباتهم ومصالحهم بعيدًا عن الالتزام بأي قانون أو نظام، وهذا سهّل عليهم دفع الرشوة وقبولها وسهّل عليهم الغش والاحتيال والكذب والخداع، لدينا شباب مثقفون، وبعضهم نشأوا في أسر فاضلة انخرطوا في وظائف وأعمال تعتمد في نجاحها على دفع الرشوة على نحو يومي.

وحتى يزداد الأمر وضوحًا أذكر لكم نموذجًا واحدًا،

يتمثل في الهدايا التي تقدمها شركات الأدوية للأطباء، هذه الهدايا تصل أثمانها إلى الألوف، وهي أنواع منوعة، بعضها للاستعمال الشخصي من قِبل الطبيب، وبعضها لبيته وبعضها لزوجته... الهدف من الهدية محدد جدًّا، وهو أن يصف الطبيب للمريض الدواء الذي تنتجه الشركة التي قدمت الهدية، وهو يستجيب لذلك، وينخرط الطبيب المحترم في صفقة يبيع فيها المريضَ المسكين لشركة الأدوية؛ حيث يجعله يدفع ثمن دواء لا يحتاج إليه، أو ثمن دواء أقل جودة من نظرائه أو أغلى ثمنًا!.

قد عانى الإسلام مع العرب كثيرًا من أجل نقلهم من مرحلة القبيلة إلى مرحلة الدولة، ولم يصب إلا القليل من النجاح، ونحن اليوم نعاني من سيطرة الرغبة في تكديس الثروات مع القليل من الاهتمام بمشروعية ما نفعل!.

إن المرء حين يغذِّي أولاده بالحرام يعرِّض نفسه لمقت اللَّه - تعالى - ويحرم نفسه من استجابة الدعاء، كما أن اللَّه لا يقبل صدقات من مال محرَّم، فهو سبحانه طيب، ولا يقبل إلا طيبًا.

* * *

٢٥
عصر الكفاءة

عصرنا عصر الظواهر الكبرى واللافتة، إنه عصر الاتصال، وعصر الإرادة وعصر التنظيم، وعصر العنف، كما أنه عصر تفتح الوعي على المنافع الشخصية، وهو إلى جانب كل ذلك عصر النوعية، والكفاءة والجودة. كل واحد من الباحثين ينظر إلى شيء كبير في عصرنا، ويسمي العصر به. في حديث القصعة: « **يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها** ». قالوا: أومن قلة نحن يومئذ يا رسول اللّٰه؟ قال: « **أنتم يومئذ كثيرون ولكنكم غثاء كغثاء السيل...** ».

في هذا الكلام من نبينا - عليه الصلاة والسلام - إشارة واضحة إلى أن من مشكلات المسلمين الأساسية في مرحلة من المراحل تتمثل في (الغثائية) أي خفة الوزن، فالسيل يجرف في طريقه كل ما لا وزن له، والعدو يفضل الهجوم على المناطق الرخوة والعناصر الضعيفة حتى لا يدفع ثمنًا باهظًا للعدوان. لا يشك أحد اليوم في ضعف أمة الإسلام وتدني مكانتها بين الأمم، والسبب الأساسي انخفاض مستوى الجودة والنوعية في كثير من أنشطتنا الفردية والجماعية.

الآن أود أن أذكر على نحو مجمل ما يساعد الواحد منّا

على أن يكون أعلى كفاءة في حياته الخاصة وفي أنشطته ومهماته وأعماله، وذلك في المفردات الآتية:

١ - الاستقامة الخلقية والاستجابة لأمر اللَّه - تعالى - والوقوف عند حدوده تشكل الأساس العميق للجودة؛ فالتقدم الشخصي الجيد لا يتم في نظرنا على أرضية تفتقر إلى الصلاح والخلق القويم.

٢ - التعلم الجيد، والحرص الشديد على دخول أفضل الكليات، والقيام بالواجبات المطلوبة على أفضل وجه ممكن.

٣ - الاستفادة من الوقت ومحاسبة النفس على التعامل معه، ووضع خطة للحركة والأداء الشخصي في بداية كل أسبوع.

٤ - التخصص شيء مهم جدًّا في زماننا، والتركيز على فرع من فروع المعرفة أو إتقان مهارة من المهارات على نحو فائق.. لا نجاح اليوم من غير تركيز، ولا تركيز من غير الوعي بأهمية تخصُّص محدد والاشتغال عليه.

٥ - المثابرة على التعلم والارتقاء وتذوق طعم العناء من أجل تحقيق الأهداف المنشودة.

٦ - إعداد النفس للعمل ضمن فريق، والتخلق بالأخلاق التي يتطلبها ذلك.

إننا أيها الإخوة والأخوات لا نستطيع بناء أمة أقوى من مجموع أفرادها، كما أننا لا نستطيع بناء جدار صلب من لبنات هشَّة، وإن نهضة أمة الإسلام مرهونة بتقدم أعداد كبيرة من أبنائها في حياتهم الخاصة والعملية.

* * *

٢٦
سطوة العاطفة

ما عرفت صاحبنا إلا رجلًا هادئًا متزنًا، ولطالمًا سمعته وهو يتحدث عن الموضوعية في النظر إلى الأمور، وعن ضرورة الإنصاف والعدل مع الناس حتى الخصوم...

وذات يوم جاء ابنه المراهق مسرعًا، وأسرَّ إليه بكلمات قليلة، ومضى، فإذا بالرجل ينتفض، ويتلفظ بكلمات تفتقر إلى التهذيب، وإلى ما هو أكثر من ذلك! وقد تبين أن ابنه أخبره بأن ابن جيرانه قد ضرب أخاه الصغير حتى أدماه، وحين التقى بابنه وبجاره وسمع الحكاية كاملة تبين له أن ابنه هو الذي بدأ بالضرب والشتم، فما كان منه إلا أن اعتذر لجاره، وأبدى أسفه على تعجله في إصدار الحكم.

حالة صاحبي هذه ليست شاذة، فنحن في حالة الهدوء نُنظِّر للسلوك الصحيح، لكن حين نُستفز، ونغضب، فإن عواطفنا تُلقي على أعيننا وعقولنا ما يشبه الغشاوة، فتضعف رقابة العقل على تحركاتنا فنسلك مسالك الجاهلين!.

إن نبينا ﷺ يقدِّم لنا النموذج الأرفع في التماسك والتوازن في كل أحواله، فهو إذا مزح وغشيه السرور لم يقل إلا حقًّا، وإذا غضب لا يغضب إلا للَّه، إنه يغضب حين تُنتَهك حرمة من حرمات اللَّه، ولا يغضب انتصارًا لنفسه

أو تعبيرًا عن الانزعاج من أذى لحق به!!.

وقد علَّمنا ربنا ما ينبغي علينا القيام به حين نسمع ما يثيرنا، ويدفعنا في طريق الانتقام، فقال - سبحانه -: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات: ٦]

التبيُّن يعني أن نتأكد من صحة ما سمعناه، ولو كان الراوي ثقة، فقد يكون واهمًا في تفسير ما سمعه، وقد يكون ناقلًا عن شخص غير موثوق..التثبت يمنحنا فرصة لتأخير رد فعلنا على ما نعتقد أنه يسيء إلينا، وحين نتريَّث في رد الفعل، فإن سورة الغضب تكون قد انكسرت، وهذا يجعل أحكامنا وتصرفاتنا عادلة ومنصفة ومتوازنة.

لو تأملنا في واقع الحياة اليومي لوجدنا أن الذي يسيِّر معظم الناس في معظم الأحيان هو مشاعرهم، وليس عقولهم، وفي هذا خروج على المنهج الرباني الأقوم وخروج على أدبيات التصرف المنطقي المقبول، والأمل أن ينحسر ذلك مع تقدم الوعي وانتشار العلم.

* * *

٢٧

قبل فوات الأوان

اخترت هذا العنوان المعبِّر عن القلق لرسالة هذا اليوم حتى أعبر فعلًا عن قلقي من التغيرات العميقة التي تجتاح ثقافتنا العامة بصمت لكن بفاعلية شديدة. كلما قرأت في بعض الكتب التي ألفها حكماء الغرب شعرت بالخوف من أن نقع في نفس الأفخاخ التي وقع فيها أبناء الدول الصناعية التي تقود مسيرة الحضارة اليوم؛ في الغرب شكوى من فقد السيطرة على مجريات الأمور وتلاشي التحكم بالأوضاع الداخلية، وفي الغرب شكوى من سيطرة اليأس والحيرة على الناس بالنسبة إلى تطلعاتهم نحو المستقبل، وفي الغرب شكوى من ضعف الروحانيات ومن التفكك الأسري المخيف... لكن المشكل أن تلك الشكاوى أشبه بأنين إنسان مسجون داخل سبعة أبواب، فمن الذي سيسمعه في الوقت الذي تعمل فيه قوى السوق العاتية فعلها لتدمر كل الأشياء الجميلة والقيِّمة.

حين قال نيتشه: (مات الإله)، لم يكن يريد أن الخالق - سبحانه - قد مات، وإنما أراد أن يقول: إن النبض الروحي الذي غذى الحضارة الغربية وكل الحضارات من قبلها لم يعد المحرك الداخلي للإنسان والثقافة والحياة العامة.

إن المشكلة التي تواجه العالم اليوم هي كيفية تسديد فواتير الإعراض عن هدي الرسالات السماوية؟ وكيف يمكن تحقيق التوازن بين الروحانيات والماديات؟ هناك شعور بالانهيار والانزلاق نحو الانحطاط نتيجة العلمانية الشاملة، عبر عنه (كريستوفر دوسون) بقوله: « حين يصمت الأنبياء، ويفقد المجتمع اتصاله بالعالم العلوي فإن الطريق يظل مفتوحًا إلى العالم السفلي، وستجد القوى الروحية المحبطة للإنسان مخرجًا لها في الرغبة غير المحدودة في السلطة والتدمير ».

إن عبارة « حطم قيودك وانطلق » والتي يتم ترديدها في دورات التدريب وغيرها تعبر عن اتجاه خطير لدى النشء الجديد، اتجاه تقديس القوة والنجاح، والفردية والثروة والشهرة، والنفوذ على حساب التشوق للآخرة والعمل من أجلها، وعلى حساب الرحمة والتوازن والانضباط الذاتي والتواصل الاجتماعي.. يجب أن نفيق قبل فوات الأوان، وأن نحلل التغيرات السلبية الكبيرة التي تغزو توجهات الناس ونظرتهم لنوعية الحياة، ثم نقوم بوضع برامج وأنشطة كبيرة وكثيرة من أجل إنعاش أرواحنا وثقافتنا وإنقاذ الأجيال الجديدة من براثن المادية المتوحشة.

* * *

٢٨
القسوة الموروثة

اتصلت بي إحدى الأخوات، وأخذت تشكو من قسوة زوجها معها، فهو يضربها ضربًا مبرحًا لأتفه الأسباب، تقول: ومع أنني في الشهر التاسع، فإنه ما زال يضربني ويهينني، وقال لي من أيام: إذا ولدت بنتًا فسوف أكرمها وأدلّلها، أما إذا وضعت ذكرًا فسوف أضربه كما أضربك ولن أرحمه أبدًا!! وحين سألته عن سبب ذلك قال: إن أبي قد ضربني وأنا صغير مرات لا أحصيها ظلمًا وعدوانًا، وهذا ما سأفعله مع ابني!.

من المعروف أيها الإخوة والأخوات أن كثيرين ممن يميلون إلى الشدة في تربية أبنائهم يكون أهلوهم قد مارسوا معهم شدة مماثلة حين ربّوهم، وفي ظني أن الذين يقسون على أبنائهم قسمان:

- قسم يمارس القسوة على أنها أسلوب تربوي صحيح، ولماذا لا يكون صحيحًا، وقد مارسه معه أبوه الذي كان مثقفًا، ولأنه مثقف فهو يفرِّق بين الخطأ والصواب في تربية الأبناء!

- والقسم الثاني يقسو على أبنائه لشيء خفي، هو التشفي والانتقام، فهو ينتقم لنفسه من خلال ضرب ابنه!.

كنت قبل مدة أتساءل عن أسوأ شيء في التربية؟

فوجدت أنه يتمثل في شيئين: القسوة والإهمال:

- القسوة في تربية الولد تجعله يحمل في ذهنه صورة سوداوية عن العالم، وتجعل منه إنسانًا متمردًا في بعض الأحيان وإنسانًا ذليلًا مهينًا خائفًا في أحيانًا أخرى.

- أما الإهمال فأخطر من أن نعدد آثاره السيئة!.

أسوأ أنواع القسوة تلك التي تكون بإغراء من زوجة أب أو من منافس داخل الأسرة أو خارجها، كما أن من أسوئها القسوة التي تكون بهدف حمل الولد على العبادة، إنها تجعله ينفر من العبادة، ومن التدين والالتزام، أنا لا أطالب بتربية قائمة على التدليل وعلى التغاضي المطلق عن هفوات من نقوم على تربيته، لكنني أطالب بتربية تقوم على الرحمة والتفهم والحزم والتوازن والمتابعة، وعلى أساس من معرفة تربوية راسخة.

* * *

٢٩
مخزن لبن

إن أجمل المسامرات تلك التي تُثري عقولنا بالأفكار النيرة والرؤى العظيمة، وقد قُدِّر لي أن أحضر واحدة من أجمل تلك المسامرات؛ حيث التقى لفيف من المثقفين في بيت أحدهم، وتمَّ طرح السؤال التالي:

ما اعتقاد كل واحد منكم حول الخطوة الأولى التي يجب أن تخطوها الأمة على طريق النهضة؟ وما المجال الأهم الذي ينبغي أن تنطلق فيه شرارة الإقلاع؟

وكان من الأجوبة الجميلة ما ذكره أحد الأصدقاء حين أشار إلى أن (التربية) هي الشيء الأهم الذي ينبغي أن نراهن عليه في مسألة التقدم، وذكر الصديق أن هذا هو رأي أفلاطون والفارابي وغيرهما من الفلاسفة.

وقال آخر: وهذا رأي الشيخ محمد عبده أيضًا.

وقال ثالث: هذا ما فعله النبي ﷺ في مكة المكرمة...

قال أحد المتسامرين: لا يستطيع أحد أن يهوِّن من شأن التربية وشأن المؤسسات التعليمية أيضًا في مسيرة النهضة، لكن سأطرح عليكم سؤالًا مهمًّا: إذا اتفقنا على أن تربية الأجيال الجديدة تربية إسلامية ممتازة، هي ما ينبغي تركيز

الجهود فيه، وكان رأينا فعلًا صائبًا ومنقذًا، فكيف يمكن زرع هذه الفكرة في عقول مئات الملايين، وكيف لنا أن نثير حماستهم للعمل بها؟

هنا سكت الجميع لأنهم يعرفون مدى ثقل هذه المهمة وصعوبة تنفيذها...

هنا قال واحد من المتسامرين: إن المبادرات الفردية تظل مهمة، لكنها لا تغيِّر حياة شعوب بأكملها مهما كثرت واتَّسع نطاقها، ولا بد من حدوث تقدم واضح على صعيد النظم السياسية والاجتماعية والتربوية والتعليمية والاقتصادية... وذلك لأن النُّظُم تشكِّل البيئة التي يتنفس فيها الجميع.

وقال الرجل: ليس في العالم دولة واحدة حققت نهضة عظيمة في ظل نظم جامدة أو متخلفة.

وأضاف قائلًا: إن صلاح الأفراد يشبه وجود عدد كبير من اللَّبِنات الجيدة تم وضعها في مخزن واسع، فكما أن وجودها من غير مخطط هندسي ومن دون (ملاط) يربطها ببعضها - لا يشكِّل منزلًا، كذلك صلاح الأفراد من غير نظم جيدة لا يمكنه إحداث نهضة شاملة لدى أي أمة أو دولة.

وأضاف آخر: إن النظم هي التي تحوِّل الأفراد إلى مجتمعات، فإذا كانت متخلفة، صار لدينا مجتمعات متخلفة. وعزز هذه الرؤية شخص آخر حين قال: إذا كان

المثقف عاجزًا عن المساهمة في تطوير أي نظام، فأضعف الإيمان أن يمتلك رؤية منطقية وصحيحة للتغيير، فسطوع الحقيقة يتيح للناس الاستفادة منها، ولو بعد حين.

هذه بعض آراء الأصدقاء في مسامرتهم تلك.

فما رأيكم أنتم دام فضلكم..؟

* * *

٣٠

تحديات الكبار

إننا في هذه الحياة نظل نواجه نوعين من التحديات: تحـديات داخلية وتحـديات خارجيـة، وقـد مضـت سنـة اللَّه - تعالى - بأن تكون التحديات الداخلية هي الأشد تأثيرًا والأصعب مواجهة.

ولهذا فإن من الممكن أن نقول: إن الأفراد والأسر والشركات والأمم العظيمة والقوية تكون معاركها الأساسية ليست مع الخصوم والمنافسين والظروف العالمية.. وإنما مع النفوس والأهواء والمكوِّنات الداخلية.

ولهذا يمكن القول: إن التحديات التي تواجه الصغار هي تحديات خارجية في المقام الأول، أما الكبار فإن التحديات الداخلية هي أخطر ما يواجههم. إن الآخرين مهما اشتدت عداوتهم لا يملكون الأدوات التي تمكِّنهم من اختراق البنى الداخلية المحصَّنة تحصينًا جيدًا، وعلى سبيل المثال: فإن توقف الحضارة الإسلامية عن العطاء لم يكن بسبب ضغوط الخارج ولكن بسبب التحلل الداخلي وخمود جذوة الروح وتفكك النظم، وحين تكون العلاقة بين الزوجين ممتازة فإنهما يستطيعان مواجهة كل الظروف الصعبة يدًا بيد، ولاسيما تدخلات الأهل، وحين تكون العلاقة فاترة، فإنها

تسمح للآخرين أن يعبثوا بمستقبل الأسرة كيف شاؤوا..

أما على الصعيد الفردي فإن كثيرين منا قد أدمنوا المطالبة بالإصلاح والتغيير، وهم ماهرون جدًّا بتعداد سلبيات الآخرين، وأشكال قصورهم، لكنهم يرفضون مطالبة أنفسهم بالتغيير ويرفضون الاعتراف بأخطائهم وتحمل مسؤولياتهم نحو أشكال التدهور الذي تعاني منه الأمة، والنتيجة هي: الجميع يشكون ويطالبون غيرهم بالإصلاح مع أن الفساد الذي يعانون منه لم يأت من الخارج، وإنما أتى من ذلك التراكم الهائل من الأخطاء والخطايا التي اقترفتها أيديهم، وهذا يذكِّرنا بذلك الشيخ الذي سُرِق حذاؤه في المسجد فتعاطف طلابه معه، وأظهروا تأثرًا بالغًا لما حدث، فقال لهم: حين وضعت حذائي في مؤخرة المسجد لم يكن فيه إلا أنا وأنتم فإذا كنتم جميعًا غاضبين ومتألمين لما حدث، فمن سرق إذن الحذاء؟!

إن معركتنا الأساسية لم تكن ولن تكون مع قوى الاستكبار العالمي في الشرق أو الغرب، وإنما ستظل دائمًا مع جهلنا وأهوائنا وشهواتنا وطموحاتنا غير المشروعة ومع البغي والظلم الداخلي الذي نمارسه فيما بيننا، وحين نحقق نصرًا واضحًا، فإن النصر سيكون مضمونًا بحول اللّه وطوله على كل القوى المعادية والمتآمرة، وصدق العزيز الرحيم إذ يقول: ﴿ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ

لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

فهل نحاول اختصار الطريق بالتخلص من محاربة الأوهام والأشباح لنوجه كل طاقاتنا للعمل المثمر البناء ولمقاومة أسباب التحلل والانطفاء الداخلي؟

* * *

٣١
شهية الاستهلاك

موضوع رسالة هذا الأسبوع ذو طابع ثقافي/ اقتصادي، وهو يدور حول علاقتنا بالأشياء الحديثة والأشد حداثة.

من المهم أيها الإخوة والأخوات أن نتجاوز في نظرتنا إلى الأشياء السطحَ إلى الأعماق والمظهَر إلى الجوهر، وفي هذا الإطار أود أن أشير إلى أننا نعاني اليوم - على درجات مختلفة - من نوع جديد من التبعية للدول المتقدمة، وهذه التبعية تقوم على الشعور الشديد بالعوز والحاجة لما يصدّرونه لنا.

نحن نعرف أن الناس على مدار التاريخ كانوا ينتجون ما يحتاجون إليه، أما اليوم فإن الأمر قد اختلف جذريًّا؛ فالدعاية والإعلان التجاري يحفزان الناس على الاستهلاك بطريقة جنونية، وذلك من خلال (خلق الشعور بالحاجة)؛ ولهذا فإن على الناس اليوم أن يغرقوا في الاستهلاك حتى تستمر المصانع في حركتها، وحتى تراكم الشركات الكبرى في أرباحها. ونحن نستجيب لذلك في كثير من الأحيان، ولدينا الكثير من الشواهد، خذوا على سبيل المثال أجهزة (الجوال) وما ينفق عليها سنويًّا لدى كل أسرة من أسرنا، إن ما ينفق على تحديثها ومتابعة طرزها الحديثة واقتنائها يكفي

لتأسيس مكتبة صغيرة في كل بيت.

نحن نشتري (الجوال) ولا نستخدم إلا جزءًا صغيرًا من الخصائص الموجودة فيه، لكننا ندفع ثمنها عن طيب خاطر، وبسبب التطور السريع والتنوع الهائل لكل شيء وفي كل شيء، فإن ما نشتريه يصبح قديمًا خلال فترة قصيرة، وعلينا أن نشتري غيره، وإلا نكون رجعيين أو متخلفين أو كما يقولون: (دقة قديمة).

(الماركات) في الملابس والحقائب والأحذية و (الإكسسوارات) النسائية أثقلت كاهل الأزواج، حيث يدفع الزوج الألوف من غير أي قناعة مقابل شعور امرأته بأنها تشتري منتج من (ماركة عالمية) وهكذا... في العالم الإسلامي زيادة سكانية كبيرة، والأجيال الجديدة تحتاج إلى تدريب وتعليم وفرص عمل؛ ولهذا فلا بد من أن نُساهم جميعًا في المحافظة على رأس المال الوطني من التبديد، وأن نحرص على الادخار من أجل الاستثمار، وحتى يستطيع أي بلد أن يحقق تنمية في حدود (٥٪) سنويًّا يحتاج إلى أن يدخر من ناتجه القومي في حدود (٣٠٪) وهذا يحتاج إلى أن ننفق بتعقل واتزان وحرص.

نحن في حاجة إلى كبح جماح متابعة الجديد وتحقيق الذات عن طريق الاستهلاك والسعي عوضًا عن ذلك إلى تحقيق الامتلاء الروحي والفكري. كان سلفنا يقولون:

استغناؤك عن الشيء خير من استغنائك به، وهذا ينطوي على حكمة عظيمة، وقيل لإبراهيم بن أدهم - رحمه اللَّه - غلا اللحم. فقال: أرخصوه بالترك. فلنتبع سياسة الترك لكثير من المرفهات مجاهدة للنفوس وزهدًا في الدنيا وحرصًا على حفظ النعمة، وسوف تنخفض أسعار الكثير من الأشياء.

فهل نحن فاعلون؟

* * *

٣٢
صفوة الصفوة

حين تمضي المجتمعات في طرق نهضتها، فإنها تواجه الكثير من الاختلالات، فطريق التحضر ليس رحبًا وسهلًا بالقدر الذي نتصوره، بل إن الناس إذا أرادوا السير فيه وفق معايير أخلاقية صارمة، فإنهم سيجدون أنفسهم أشبه بالذي يسير على حبل مشدود، كلُّ همِّه ألا يقع في جهة اليمين أو جهة الشمال. صفوة الصفوة في أمتنا هم فرسانها الذين تمكنوا من ثلاثة أمور:

- وعي جيد بالحال العام للمجتمع الذي يعيشون فيه.
- وحرقة على استقامته ومصلحته تشبه حرقة الأمهات.
- ثم مواقف عملية لتلافي الخلل الذي يحدث في التوازن الاجتماعي العام.

إن وعي المجتمعات بأنفسها يظل ناقصًا، كما أن الشهوات والمغريات والضغوطات التي تلوح دائمًا أمامها تدفع بها إلى الإفراط في بعض الأمور وإلى التفريط في أمور أخرى، والمهمة الأساسية لصفوة الصفوة هي إبقاء المجتمع على خط الاعتدال الذي تؤدَّى فيه الحقوق والواجبات ويقاوَم فيه الإفراط والتفريط.

- يلاحظ فرسان الأمة وجود انسياق اجتماعي واضح خلف متع الجسد وخلف المرفهات المحسوسة فيندفعون نحو إعلاء متع الروح من خلال زيادة التعبد والإقبال على اللَّه - تعالى - في الأسحار والخلوات، إنهم ينظرون إلى أنفسهم على أنهم نقاط توازن لحياة اجتماعية عظيمة.

- يلاحظ فرسان الأمة أن هناك ميلًا عامًّا نحو رعاية المصالح الخاصة والانكفاء على الذات بسبب التقدم العمراني، فيندفعون نحو إيجاد المناسبات التي تجمع الناس وتعيد للروح الجماعية ألقَها من جديد.

- يلاحظ فرسان الأمة أحيانًا وجود ميل مفرط نحو احتقار الذات وتمجيد العدو والمنافس، فينفخون فيها روح العزة، ويدلُّونها على نقاط قوتها وعلى إمكاناتها الكامنة.

- يلاحظ فرسان الأمة أحيانًا اتساع دائرة التفاوت الطبقي في المجتمع، فيسعون إلى دعم العناصر المهمّشة والشرائح الفقيرة ويعملون على إصدار التشريعات والقوانين التي تقلل من حجم التباين بين الناس...

إذا كانت الأمة قد احتاجت في يوم ما إلى ألف فارس يقدمون أرواحهم في سبيل الذود عن حياضها، فإنها اليوم في حاجة إلى مائة ألف فارس يملكون الرؤية السديدة للحال التي يجب أن تكون عليها الأمة، ويملكون ما يكفي من الوسائل لتجسيد تلك الرؤية في حياتها على نحو ظاهر.

أسأل اللَّه - تعالى - أن يجعلنا ممن يسدون الثغرات، ويصلحون المعطوب من التوازنات.

* * *

٣٣
التهذيب كلام

كلما تعلَّم الناس وذاقوا طعم الرفاهية أكثر، انتظروا من بعضهم استخدامًا لغويًّا أرقى ولطفًا أعظم، وهذا من سنن اللَّه - تعالى - في الخلق، ومع أن (التهذيب) صفة نفسية إلا أنه يظهر في حديثنا مع بعضنا بصورة جوهرية؛ والعجيب في الأمر أننا حين نستخدم كلمات مهذَّبة نعبر عن سمو نفوسنا، ونرسِّخ ذلك السموّ، وننميه في آنٍ واحد، وهكذا فتعويد المرء لنفسه الكلامَ الجميل واللطيف ذو فائدة مزدوجة، فهو يُمتع غيره، ويرتقي بنفسه، وقد أمرنا ربنا ﷻ بالعناية بما نقول في قوله: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣] أي كلامًا لينًا لطيفًا يشعرهم بالكرامة، ولا يجرح مشاعرهم على أي نحو من الأنحاء. وقد ذهب كثير من أهل العلم إلى أن المراد بـ (الناس) في الآية: المسلم والكافر، وهذا هو الأليق؛ لأن الإنسان المهذَّب لا يكون له لسانان، واحدٌ للمسلمين، وآخر لغيرهم.

هناك أناس كثيرون نشأوا في بيئات تفتقر إلى التهذيب، ولا تهتم بالتأنق اللغوي، لكنهم جاهدوا أنفسهم في ذات اللَّه، وعوَّدوا ألسنتهم التلفظ بالألفاظ الجميلة التي تُدخل السرور على من يحدثونهم، فصاروا منارة للهداية والتعليم

في بيئاتهم ، ونفع اللّه بهم خلقًا كثيرًا.

شيء جميل أن نعوِّد أنفسنا استخدام الكثير من الألفاظ التي تدل على لطفنا ويقظتنا الشعورية والاهتمام بمن نحتكُّ بهم، وذلك من مثل: شكرًا، لطفًا، عفوًا، معك حق، لم أنتبه، لك الفضل، أنا آسف، لم أتعمد الإساءة، أنا جاهز لإصلاح خطئي... هذه الألفاظ حين تشيع في المجتمع تغيِّر نكهة الحياة العامة، وتَحُول دون استخدام العنف في التعامل والخشونة في الخطاب.

لا يظهر فضلنا عل نحو تام إلا إذا استخدمنا هذه الألفاظ مع الفئة التي نجد نوعًا من الغضاضة في استخدامها معها؛ مثل: الأطفال والخدم والعمال والفقراء... إنك إذا أردت للناس أن يحترموك ويحترموا أنفسهم، ويتصرفوا على أنهم أشخاص محترمون، فخاطبهم باحترام، وتصدَّق على نفسك وعليهم بالملاطفة وعذب الكلام.

بدايات الحروب كلام، وبدايات السلام كلام، وإن لِلُّغة في حياتنا دورًا أكبر مما نعترف به في العادة.

* * *

٣٤
ثورة المزاج

لا أحد ينكر الجانب العاطفي لدى الإنسان، ولا أحد ينكر حقه في نوع من الرفاهية الشعورية؛ بل إن هذا مطلوب بوصفه جزءًا من استقرار الإنسان وتوازنه العام، لكن المشكل هو التركيز المبالغ فيه على صناعة المزاج ومشاعر المتعة واللذة؛ حيث إن من الواضح أن تيار (المتعة) صار جارفًا، وقادرًا على إحداث تغييرات كبيرة في حياة كثير من الناس.

وقد صار الذين يوفرون المتعة المشروعة وغير المشروعة نجومًا براقة، تعلقت بهم الأفئدة والأبصار، وصار الذين يقدمون العلم والمعرفة والخبرة والنصيحة والفكرة المبدعة والإنجاز الحضاري... صار هؤلاء في الظل، لا يعرفهم سوى أعداد محدودة من الناس.

من الواضح أيها الكرام والكريمات أنه حين يُنشَر على الإنترنت خبر عن إحدى الفنَّانات المشهورات، فإن قراء ذلك الخبر يصلون إلى الملايين، وحين يُنشَر خبر عن عالم عظيم فإن قُرَّاءَه يُعدُّون بالآلاف. لماذا هذا؟

يحدث هذا لأن شريحة واسعة من الفتيان والشباب والكبار مشغولون بالمتعة وبمن يوفر المتعة. أما التقدم العلمي والفكري والحضاري، فإنه لا يشغل سوى بال

شريحة ضيقة من أبناء الأمة، ومن الطبيعي حينئذ ألَّا ينشغلوا بصنَّاع ذلك التقدم.

الاستسلام للمتعة والشهوة والهوى والغريزة أسهم في زيادة حالات الطلاق والزواج العرفي، كما أسهم في زيادة حالات الخيانة الزوجية وجريمة شرب الخمر وإدمان المخدرات وكسب المال بطرق غير مشروعة...

الآن كيف نُصلِح هذا الخلل الكبير الذي أصاب الشخصية الإسلامية في العمق؟!!

في اعتقادي أن كل واحد من أهل الدين والغيرة والوعي مطالَب بعمل بعض الأشياء، مثل:

- التركيز على نشر ثقافة العقل والفكر والعلم والإبداع والدعوة.

- التركيز على ثقافة التعبد والتطوع ومجاهدة النفس في ذات اللَّه.

- تعريف الناس على علمائهم ومفكريهم ودعاتهم وكل النماذج العظيمة فيهم.

- توعية الأسر على الدور المحوري الذي ينبغي أن تقوم به في تربية أبنائها التربية الإسلامية الصحيحة.

- على الإعلام الإسلامي أن يركِّز على هذه القضية وأن يُخْرجها إلى سطح الوعي.

٣٥
بطيء لكنه فعَّال

إذا تأملنا في حركة الإصلاح على مستوى العالم قديمًا وحديثًا فإننا نجد أن عنق الزجاجة الذي يمكن لكل شيء أن ينحبس فيه، ويتعطل بسببه كل شيء، هو هذا الفرد ذو الرغبات والتطلعات والمشتهيات وذو العادات والتصورات والقناعات... ما قيمة كل ما تمَّ من التقدم الطبي بالنسبة إلى مريض بالسكر يرفض اتباع حميَّة نَصَحَهُ بها أطباؤه؟ وما قيمة كل المعلومات التي تحذر من الدخول في مشروع ما بالنسبة إلى رجل أدمن المغامرات، فهو يسعى خلف سراب (ضربة الحظ)؟ وما، وما... لن تتقدم هذه الأمة إلا على مقدار ما تُحدِثه شريحة كبيرة من أبنائها من تغيير، على صعيدهم الشخصي: على صعيد الروح والعلم والخلق والكفاءة والتهذيب... وفي هذا الإطار أود أن نعتمد سياسة التغيير البطيء:

نحن نريد أن نتقدم ببطء شديد، لكن مع كل العزيمة والإصرار والثقة بأن لا نتراجع إلى الوراء، وننكص على أعقابنا. نحن لا نريد من المُدخِّن أن يترك التدخين فجأة، ويعود إليه بعد أيام بِنهمٍ شديد ليعوض ما فاته، ولا نريد من المعرِض عن القراءة أن يقطع على نفسه العهود بأن يقرأ كل

يوم أربع ساعات، ولا نريد ممن لم يتعود الصدقة أن يدفع لفقير الألوف...

نحن لا نريد شيئًا من ذلك، نحن لا نريد الطفرة والقفز السريع، وإنما نريد الفطرة القائمة على التدرج والتغير البطيء. ليترك مدمن التدخين كل أسبوع سيجارة، وليحاول المعرض عن القراءة أن يبدأ بقراءة نصف ساعة في اليوم، وليحاول الممسك للمال أن يتصدق كل يوم بريال أو درهم، وليحاول المحروم من الاستيقاظ قبل الفجر أن يستيقظ في البداية مرة في الأسبوع... لكن مع العزيمة على الثبات والاستمرار على هذا الشيء القليل، ثم يزيد فيه كل مدة بحسب ما يستطيع.

إذا تعود الواحد منا عادة حميدة، فليجهر بها أمام أهله وخُلَّص أصدقائه، وإذا ترك شيئًا سيئًا، فليفعل مثل ذلك؛ حتى يكونوا سندًا له وعونًا له على الثبات والمضي نحو الأمام.

إن تغيير الأخلاق والعادات ليس بالأمر اليسير، لكن حين يحدث فإن العالم من حولنا يتغير، وصدق اللّه - تعالى - إذ يقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١].

* * *

٣٦

رعاية الصداقة

نحن في هذه الحياة نحتاج إلى من تربطنا بهم علاقة تسمو على المصالح والمنافع، بحاجة إلى من نبث إليهم همومنا وشجوننا، وإلى من نأنس بهم، ونتمتع بمسامرتهم ولطفهم ومشاعرهم الدافئة، نحن في هذه الحياة في حاجة إلى من يقدمون لنا النصح والمشورة، ويطلعوننا على عيوبنا ونقائصنا، نحن في حاجة إلى من يتحمل أخطاءنا وهفواتنا، باختصار؛ نحن في حاجة إلى مَن نستكمل به معاني إنسانيتنا، ونعيش بمساعدته حياةً سعيدة وآمنة.

إنه الصديق والأخ في اللَّه الذي تحدثت عنه كل الثقافات ووصفته كل الأمم.

الصداقة أيها الإخوة والأخوات، أخذ وعطاء، وعلى مقدار ما نعطي نأخذ، ولا يمكن للصداقة أن تستقيم من غير تضحية، أي إنها تحتاج إلى فائض من الصبر والكرم واللطف، نقوم باستثماره فيها.

وقد أعجبتني النصيحة الثمينة التي قدمها الإمام الكبير محمد بن إدريس الشافعي إلى يونس بن عبد الأعلى في التعامل مع الصديق حيث قال:

(يا يونس إذا بلغك من صديق لك ما تكرهه فإياك أن تبادره بالعداوة وقطع الولاية، فتكون ممن أزال يقينه بشك، ولكن الْقَهُ وقل له: بلغني عنك كذا وكذا، وإياك أن تسمِّي له المبلِّغ فإن أنكر ذلك، فقل له: أنت أصدق وأبر، لا تزيدن على ذلك شيئًا، وإن اعترف بذلك، فرأيت له في ذلك وجهًا بعذر فاقبل منه، وإن لم تر ذلك فقل له: ماذا أردت بما بلغني عنك؟ فإن ذكر ما له وجه من العذر فاقبل منه، وإن لم تر لذلك وجهًا لعذر وضاق عليك المسلك فحينئذ أثبتها عليه سيئة، ثم أنت بعد ذلك بالخيار، إن شئت كافأته بمثله من غير زيادة، وإن شئت عفوت عنه، والعفو أقرب للتقوى، وأبلغ في الكرم؛ لقول اللّه - تعالى -: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠] فإن نازعتك نفسك بالمكافأة - أي مقابلة السيئة بمثلها- ففكر فيما سبق له لديك من الإحسان فعدَّها، ثم اندر - أي أسقط - له إحسانًا بهذه السيئة، ولا تبخس باقي إحسانه السابق بهذه السيئة، فإن ذلك هو الظلم بعينه، يا يونس إذا كان لك صديق فشد يديك به - أي حافظ عليه - فإن اتخاذِ الصديق صعب وفراقه سهل)

هذه النصيحة الغالية والعظيمة لو عملنا ببعضها لما خسرنا الكثير من الصداقات. والأصدقاء بعد ذلك درجات، والواحد منا في حاجة إلى صديقين أو ثلاثة من الدرجة الأولى

وعشرة من الدرجة الثانية وعشرين من الدرجة الثالثة، وعدد كبير من المعارف الذين يبادلهم التحية والدعاء.

* * *

٣٧
ثقافة الإحباط

من الملاحظ دائمًا أن الأمم حين تنهض يكون في وعيها، وفي وجدانها شيئان مهمان؛ هما: الخلق المتين، وروح التفاؤل، ولَعلّي في هذه الرسالة أتحدث عن العنصر الثاني.

مما هو بدهي أن في وسع الناس دائمًا أن يشكوا من سوء الأحوال وصعوبة الزمان، وفي وسعهم أيضًا أن يلمحوا الجوانب المشرقة في حياتهم، فيحمدون اللّه ويتفاءلون، لكن من الواضح أيضًا أنه في حالة الانحباس الحضاري يغلب على الناس الشعور بالإحباط وانسداد الآفاق. وإن الذين يعيشون في بيئات فقيرة وجاهلة وفوضوية يشعرون باليأس أكثر بكثير من الذين يعيشون في بيئات رخية ومتعلمة.

إن من مفردات ثقافة الإحباط الآتي:

١ - ينشغل الناس بتوصيف الأزمات، ويُكثرون من الشكوى، والقليل القليل منهم من يتحدث عن الحلول.

٢ - يغلب الشعور بالعجز، فالمهمات والمشكلات والأحمال هي دائمًا فوق الوسع والطوق.

٣ - يتحدث الناس عن التجارب الفاشلة ويلومون من يقوم بأي عمل فيه شيء من المخاطرة.

٤ - لا قيمة للمحاولة؛ بل إن المحاولة عبارة عن عبث، والمهم دائمًا النجاح، وويل لمن يحاول، ولا ينجح.

٥ - حين تحدِّث أهلك أو زملاءك عن حلم تتطلع إلى تحقيقه، فإنهم يصفونك بالرومانسية، أو يقولون: إنك ذو أوهام وشطحات.

٦ - سقْف التطلعات دائمًا منخفض، ومعظم الناس يرضون بالقليل، ولا يرون مشكلة في العيش على الهامش.

٧ - يسود النقد المتشائم، ويُنظر إلى النجاح الباهر على أنه غير معقول أو هو من قبيل الشاذ والنادر الذي لا حكم له.

٨ - حيرة وتردد في كل شيء، وخوف من اتخاذ أي قرار.

إن مفردات ثقافة الإحباط كثيرة، ولا أريد أن أسترسل أكثر، لكن أودُّ أن أذكر قول يعقوب لأولاده: ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧].

وقوله ﷺ: « **بشروا هذه الأمة بالسناء والدين والرفعة والنصر والتمكين في الأرض** ».

الشيء الثالث والأخير: هو أن نعمل على تغيير الظروف نفسها، وهذا ممكن وإن كان يحتاج إلى وقت.

الشعور بالتفاؤل يحتاج إلى نوع من الهندسة الفكرية،

والروحية، وهذا ما يمكن أن أتحدث عنه في المستقبل بحول اللَّه وطوله.

* * *

٣٨

التربية تفاعل

فطر اللَّه - تعالى - الأطفال على الشعور بالحاجة الشديدة إلى الكبار، وهذا يدفعهم إلى الإكثار من إلقاء الأسئلة عليهم والالتجاء إليهم والاحتماء بهم، وهذا كله يوفر نوعًا من التفاعل النشط بينهم وبين آبائهم وأمهاتهم، لكن هذه العملية لا تتم على نحو سَلِسٍ، فضلًا عن أنها عملية تشكو النقص المستمر. تفاعل الصغار مع الكبار يعني أنهم من خلال الإعجاب بهم والإيمان بحكمتهم والثقة بشفقتهم، يقبسون من عقولهم وأرواحهم وعاداتهم ما يكملون به شخصياتهم، وما يساعدهم على أن يدرجوا نحو النضج والاكتمال.

السؤال الذي يطرح نفسه هو: مع أي شيء فينا يتفاعل صغارنا؟

الجواب: أنهم يتفاعلون مع ما لدينا من مشاعر واتجاهات ومواقف وسلوكيات ولا يتفاعلون إلا على نحو ضعيف مع أقوالنا ومواعظنا، ولو أن الكلام كان كافيًا لتغيير عاداتهم وتصحيح أخطائهم، لكانت التربية من المهمات السهلة. من هنا يظهر عدم وعي الآباء الذين يشكون من انحراف أبنائهم مع أنهم - كما يقولون - لا يكفُّون أبدًا عن النصح

والتوجيه، وما دروا أن كثرة النصح لا تحل المشكلة، بل تدل على وجود مشكلة انعدام أو ضعف تفاعل أبنائهم معهم!.

نحن نساعد الأطفال على التفاعل معنا إذا تفاعلنا معهم، من خلال الاهتمام بما يقولونه، والاستعداد لتغيير بعض ما لدينا بناء على مقترحاتهم؛ ونحن نساعدهم كذلك إذا شاركناهم الرأي في بعض الأمور التي تعنيهم، وإذا أجبنا على تساؤلاتهم، وأكثرنا من التحدث إليهم.

وفي إمكاننا القول: إن تفاعل أبنائنا معنا يمكن أن يتم على نحو جيد، إذا تخلصنا من الأمور التي تُضْعف ذلك التفاعل من نحو العقاب البدني والصراخ المستمر والمقارنة السلبية، وإذا تخلصنا من تصلب الرأي والتسلط الذي يغري به اعتقادنا أننا على الصواب المطلق في كل ما يتعلق بهم.

علينا ألَّا نتضايق من كثرة ما يُطْلب منا في تربية أبنائنا؛ لأن أي جهد نبذله في تربيتهم هو جهد مأجور، وأعمالهم الصالحة في صحائفنا إن شاء اللَّه - تعالى - فنحن الذين كنا السبب في وجودهم، ونحن الذين دَلَلْنَاهُم على الخير. ومن وجه آخر فإن علينا أن نتذكر أن ما يُطلب منا اليوم كان مطلوبًا من آبائنا نحونا، وسيُطلب من أبنائنا تجاه أبنائهم؛ فالدنيا أخذ وعطاء ودَيْن ووفاء.

* * *

٣٩
قمة العظمة

إننا في عالم الصفات والمعاني، والعالم غير المحسوس نجد صعوبة بالغة في العثور على مقاييس واضحة ودقيقة لتقويم ما نود أن نقوِّمه، وعلى سبيل المثال فإن الواحد منا لا يستطيع أن يعرف مدى العظمة والقوة في العديد من أعماله وجوانب شخصيته إلا إذا قارنه بما لدى زملائه وأصدقائه ومنافسيه، لكن هذا المقياس ليس دقيقًا؛ فقد يقارن المرء نفسه بأناس ظروفهم أصعب بكثير من ظروفه، أو يقارن نفسه بأشخاص مواهبهم أقل من مواهبه، وبذلك يجد نفسه متفوقًا عليهم، وهو في الحقيقة من أواسط الناس أو دون ذلك.

المقياس الحقيقي والدقيق للسمو والعظمة والتقدم يكْمن فيما يمكن أن نسميه (التفوق على الذات)، وهو يكون حين يشعر المرء أنه في هذا العام أفضل من العام السابق على صعيد التدين والخلق والعلم والتعامل مع الناس. ولا شك في أن التحسن في كل هذه الأمور وعلى نحو مطرد هو شيء نادر وشاق، فيكفي أن يشعر المرء أنه في بعض شؤونه ثابت ومستمر، وفي بعض منها يتحسن ويرتقي، مثل الذي يؤدي زكاة ماله مع شيء قليل من الصدقة، فهو ثابت على

ذلك لكنه في هذا العام زاد في المدة الزمنية التي يخصصها للمطالعة يوميًّا.

وقد قال الشاعر العربي قديمًا:

وَرَجِّ الفتى للخير ما إن رأيته

على السن خيرًا لا يزال يزيد

وتقول الحكمة الهندية: (ليس هناك نبل حقيقي في أن تكون أفضل من الآخرين، إنما النبل الحقيقي هو أن تكون أفضل مما كنت عليه في السابق).

نحن حين نُصِرُّ على تحسين بعض جوانب حياتنا، فإننا في الحقيقة نحمي أنفسنا من التدهور والتراجع؛ حيث نكون كمن جفر خنادق أمامية متقدمة في أرض العدو حتى لا يخسر أي جزء من أرضه، وإننا حين نفكر بهذه الطريقة فإننا نحفز أنفسنا على زيادة الوعي بما لدينا، كما نحفزها على المحافظة عليه، وفي هذا وذاك خير عظيم. إن طريق الجنة وطريق العظمة محفوفان بالتضحيات والصعوبات، لكن ثمار المجاهدة في ذات اللَّه - تعالى - دائمًا حلوة ويانعة، والموفَّق من وفَّقه اللَّه - تعالى - لذلك.

* * *

٤٠
روح المرح

إن من المفاهيم الخاطئة المنتشرة في الأوساط المتدينة وغيرها، ارتباط المرح والدعابة والمزاح بالهزل وضعف التدين وضعف الشعور بالمسؤولية والشعور بمصائب المسلمين وآلامهم... وارتباط العبوس والتجهم والصرامة والجدية الزائدة... بالورع والتدين والإحساس بآلام المسلمين، ويسترشد من يرى هذا بما يروى عن بعض عظماء هذه الأمة من الامتناع عن التبسم والضحك بعد إصابة بعض بلاد المسلمين بحادث جلل، والاستمرار على ذلك إلى حين الوفاة أو النصر والانتقام.

وأود هنا أن أشير إلى الآتي:

١ - لا ينبغي أن نفهم من الحث على التبسم أنه محمود في مناسبة وفي غير مناسبة؛ إذ لا معنى له والمرء يمشي في جنازة. والتبسم المستمر من غير أي سبب والإنسان يستمع إلى شخصٍ ما يُعدُّ شكلًا من أشكال بلاهة الوجه، وقد كان النبي ﷺ يعظ أصحابه، ويحذرهم من بعض الأمور وعلى وجهه كل معاني الصرامة والجدية، حتى كأنه - كما قال الراوي - منذر جيش.

٢ - ليس هناك ارتباط بين التجهم والجدية، فالتجهم يعبر عن وضع نفسي غير مريح، أو عن اكتئاب أو قلق أو خوف... أما الجدية والاهتمام بأمور المسلمين والشعور بالمسؤولية، فإن التعبير عنها يكون بالإنجاز والالتزام بأداء الأعمال بسرعة وكفاءة، كما يعبَّر عنها بالسعي إلى تخفيف آلام المسلمين ونصرة قضاياهم.

٣ - يقول جرير بن عبد اللَّه - فيما رواه البخاري - ما رآني رسول اللَّه ﷺ منذ أسلمت إلا تبسم في وجهي، ويقول عبد اللَّه بن الحارث - فيما يرويه الترمذي - ما رأيت أكثر تبسمًا من رسول اللَّه ﷺ.

٤ - إن فوائد المرح والسرور والضحك النفسية والجسمية كثيرة للغاية، ولا ينبغي أن نحرم أنفسنا منها، ولكن ليكن ضحكنا وكل عملنا مؤطرًا بإطارين: المشروعية والاعتدال.

* * *

٤١
وضعية منتجة

إن لدينا - بحمد اللّه - عددًا كبيرًا من الشباب الخيِّر الذين يحملون هموم هذه الأمة ويودُّون تقديم خدمة لها أو سد ثغرة من الثغرات التي تعاني منها... وكثيرًا ما يسألني بعض هؤلاء الشباب عن جوانب الضعف في حياتنا العامة، حتى يساعدوا على تقويتها، والجواب الذي كثيرًا ما أجيب به هو:

الأمة بحاجة إلى الكثير الكثير في كل مجال من المجالات، ولهذا فالمهم ليس العثور على مجال يحتاج إلى خدمة، وإنما المهم أن يعرف الواحد منا المجال الذي يستطيع أن يعمل فيه بكفاءة عالية، ويقدِّم فيه شيئًا ممتازًا.

للإبداع والإنتاجية العالية العديد من الشروط، لكن أهمها شرطان:

١ - الرغبة: المقصود بالرغبة ليس الارتياح أو الميل والاستحسان. فهذه لا تصنع شيئًا، وإنما المقصود ذلك التشوق المقلِق والمسيطر، والذي يشكل دافعًا قويًا للحركة.

ومما يذكر في هذا السياق أن شابًّا شكا إلى (أفلاطون) ضعف إنجازاته، فقال له الحكيم: أنت تحتاج إلى دافع،

فقال الشاب: ما المقصود بالدافع؟ فشرح له أفلاطون مراده، فلم يستوعب الشاب، فما كان من أفلاطون إلا أن قام وأخذ بيد الشاب إلى بحيرة قريبة منه، ثم وضع يده على رأس الشاب، وضغط عليه، فغمره بالماء وبعد ثوانٍ أحسَّ الشاب بالضيق، وبذل جهدًا كبيرًا حتى أخرج رأسه من الماء فقال له أفلاطون: هذا هو الدافع.

القرآن الكريم مملوء بالآيات التي تصف ثواب العمل الصالح، وما أعدَّه اللَّه لعباده الصالحين في دار كرامته، وذلك من أجل تكوين الدافع لدى المؤمنين.

٢ - القدرة: وهي نوعان:

- منها ما هو فطري ووهبي، وذلك مثل الخيال الواسع والبسطة في الجسم، ومثل الذكاء اللغوي والرياضي والعاطفي ومثل قوة الذاكرة... إلخ.

- ومنها ما هو مُكتَسَب، وهو ما نحصل عليه من معلومات ومهارات بسبب ما نبذله من جهد في التعلم والتدرب.

ولا شك أن المرء لا يستطيع أن ينمي مواهبه الفطرية بشكل لافت وظاهر؛ ولهذا فإن عليه أن يتكيف معها، ويبحث عن المجال الذي يلائمها، وإن في التدريب والتمرين الممتاز والشغف المعرفي المشتعل ما يعوِّض عن بعض النقص في القدرات الوهبية .

المهم دائمًا هو الحصول على الدافع القوي المحرِّك، فإذا حصلنا عليه أمكننا أن نحصل على الكثير من الأمور العظيمة.

* * *

٤٢
التحضر انضباط

يظن كثير من الناس أن تحقيق الرغبات إلى أقصى حدٍّ، ومسايرة المشتهيات من غير ضابط، سمةٌ من سمات الإنسان المتحضر، ويعتقدون أن أبناء المجتمعات المتحضرة يقدمون في سلوكهم اليومي البرهان على ذلك.

وأعتقد أن هذا المفهوم يحتاج إلى مراجعة.

وأقول ابتداء: إن الانحطاط والتدهور والبدائية أمور مرتبطة بالفوضى وليس بالنظام، ومرتبطة بالتصرف بعفوية مطلقة وليس بالانضباط السلوكي، ومن هنا فإننا نجد أن الأمم كلما مضت في طريق الحضارة كثرت النظم في حياتها، وصار التكيف مع المزيد منها مطلوبًا من كل فرد من أفرادها، والتكيف في جوهره هو انضباط وانسجام وتأقلم وضغط على الذات وتحمل للمشاق، وزيادة في الإنتاجية والامتناع عن كثير من المرغوبات. أما ما نلاحظه لدى الغربيين من انطلاق في العلاقة بين الرجال والنساء - مثلًا - فسببه ليس التحلل من القيود ومسايرة الأهواء، أو الجنوح إلى الفوضى، وإنما سببه تساهل الأعراف والنظم لديهم في شأن العلاقات المحرمة بين الرجال والنساء، وأحيانًا عدم وجود أي أعراف أو نظم تجرِّم ذلك أو تستقبحه، كما هو

الشأن في علاقة الفتيات بالفتيان.

على كل حال فإن الرؤية الإسلامية في هذا الشأن تقوم على أن التقدم مشروط بالصبر ومجاهدة النفس، كما نلمحه في قول اللَّه - تعالى -: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

الانضباط الذاتي يشمل الكثير من الأشياء، من أهمها:

- مداومة تامة على أداء الشعائر والواجبات.

- ابتعاد تام عن الكبائر والموبقات.

- مجاهدة مستمرة للنفس من أجل المزيد من القربات.

- العمل على الاستفادة من الوقت إلى أقصى حدٍّ ممكن.

- أداء الأعمال والمهمات بجدية وحيوية.

- الترفع عن مرذول العادات.

- مقاومة الرغبة الجنسية وضبطها إلى أن يسهِّل اللَّه - تعالى - للرجل زوجة صالحة وللمرأة زوجًا صالحًا تعيش معه الحياة الطبيعية.

- مقاومة رذيلة الشح والأنانية من خلال الإحسان وبذل الجهد والوقت في مساعدة الآخرين.

* * *

٤٣
من يملأ الفراغ

إن كثيرًا من أهل الغيرة يشكون مما صار إليه حال كثير من المسلمين من التقليد لغير المسلمين ومتابعتهم في أمور سيئة كثيرة، وهم من أجل الخلاص من ذلك يعظون وينصحون ويؤنبون، ولكن المردود لكل ذلك دائمًا محدود. أعتقد أننا في حاجة إلى فهم سنة اللَّه - تعالى - في هذا الشأن حتى يتضح ما الذي علينا فعله.

يقولون: إن الطبيعة تكره الفراغ، وهذا القول مهمٌّ فيما نحن فيه؛ إذ إن الإنسان يحب أن يفهم جذور الأشياء، والأحداث، ويحب أن يفهم عِلَلَهَا، كما يحب أن يعرف العلاقات التي تربط بين كل ما ذكرناه، وهذا الحب أو الظمأ يبحث دائمًا عن الارتواء، وسيظل الإنسان يبحث عما يروي ظمأه، ويخلِّصه من حيرته وتساؤلاته، وحين يظفر به فإنه سيعتقد أنه جيد ومناسب إلى أن يأتي من يُثبت له أنه ليس كذلك؛ من خلال تقديم بديل له، وعلى سبيل المثال؛ فإن المسلم إذا لم يجد في تراثه وفي بحوث المسلمين المعاصرين له المعلومات التي توضح طبيعة المراهق وكيفية التعامل معه، والأسلوبَ الذي ينبغي أن يُتَّبع في توجيهه... فإنه سوف يبحث عن ذلك في مكان آخر، وسيتقبل معظم ما يقوله له الآخرون عن هذا

الموضوع، ولن يتخلى عنه إلا إذا قام باحثون مسلمون، وأثبتوا من خلال البحث والاستقراء والتحليل... أن ما قاله غير المسلمين في هذا الشأن غير صحيح أو غير دقيق، وأن الصحيح والدقيق هو كذا وكذا، في هذه الحال فإن المسلم المطلع سوف يوازن بين الرؤيتين، وبعد ذلك فقد يمزج بينهما، وقد يميل إلى إحداهما، ما دامت المسألة قابلة للجدال والاختلاف. ما الذي يعنيه هذا؟

إنه يعني شيئًا واحدًا هو أنه ليس أمامنا سوى خيار واحد هو (الإبداع)؛ حيث إننا كلما أبدعنا في إيجاد ما نحن في حاجة إليه استغنينا به - ولو جزئيًا - عما لدى الآخرين، وإذا لم نفعل ذلك، فلا نلومنَّ العامة وأشباههم على تقليد الآخرين ومتابعتهم في أساليب عيشهم، هذه هي الحقيقة الواضحة والمؤلمة: إما الإبداع وإما التبعية. نعم، إن الكفَّ عن البحث والاجتهاد والإبداع سيعني الركون إلى التقليد وليس هناك مَن يمكن أن يُقَلِّـد سوى أولئك الذين يصنعون الأشياء، ويولِّدون الأفكار والنظريات والمفاهيم.

* * *

٤٤

نصف ساعة تكفي

معظم العرب والمسلمين لا يجدون رغبة في القراءة، وقليلون جدًّا الذين يقرؤون كتابًا في الشهر، والأسباب عديدة، لكن السبب الرئيس في نظري ليس عدم وجود ما تحتاجه القراءة من مال ووقت وإدراك لفضلها، وإنما عدم معرفة الناس بالنهايات السعيدة التي يمكن أن توصلهم القراءة إليها، وعدم معرفتهم بالفوائد والعوائد العظيمة التي يحصلون عليها حين يقرؤون بجدية ومثابرة.

وأود هنا أن أشير إلى المعاني التالية:

١ - يصعب أن تقتنع بقول أي شخص يقول: إنه لا يجد نصف ساعة يوميًا لقراءة شيء ينتفع به، وإن أي مراجعة لأحوالنا ستجعلنا ندرك أننا نضيِّع يوميًا الكثير من الوقت في أمور غير مهمة.

٢ - إن قراءة نصف ساعة يوميًّا ليست بالشيء القليل؛ حيث إنها تمكِّن الإنسان من أن يقرأ خمسين كتابًا متوسطًا في السنة، بل إن قراءة نصف ساعة يوميًا بشكل منهجي ومركَّز تمكِّن الإنسان من أن يصبح معلِّمًا للعلم الذي يقرأ فيه؛ لأنه إذا التزم بذلك يقرأ في حدود (٩٠٠) ساعة في خمس سنوات، وهذه تزيد على ما يقرؤه الطالب الجامعي في مادة

من المواد الأساسية.

٣ - إن التثقيف والاطلاع هدف نبيل للإنسان لكنه ليس كافيًا لجعل الإنسان يتعب ويضغط على نفسه من أجل الاستمرار في القراءة، ومن هنا فإن من المهم جدًّا أن يكون لكل واحد منّا هدف محدد يرمي إلى بلوغه من خلال المطالعة، وهذا الهدف قد يكون إتقان القارئ لفرع من فروع المعرفة والتعمق فيه حتى يصبح أحد المرجعيات الكبرى فيه، وقد يكون التأليف في ذلك الفرع، كما أن القارئ قد يرنو إلى أن يصبح واحدًا من أكبر المحاضرين في العلم الذي يقرأ فيه... لا بد من أن نبحث عن مخرج من حالة الإعراض عن القراءة لأن المخاطر التي تترتب عليه كبيرة جدًّا، والوقت أمامنا محدود.

* * *

٤٥

الأشد خطورة

كنت أتساءل عن أشد الأمور خطورة على وجودنا المعنوي وعلى مستقبلنا الدنيوي والأخروي، وخطرت في بالي أمور عديدة، ثم وجدت أنه لا بد أن يكمن ذلك في (فقد الرسالة) بمعنى أن يعيش الواحد منا من غير حملِ هَمِّ عملٍ كبير يودُّ خدمته أو شيء عظيم يريد إنجازه.

إننا حين نفقد الرسالة نفقد الاتجاه ونفقد الحافز على العمل النشيط، وتمتلئ حياتنا بالتوافه والكثير من المتناقضات. هناك طلاب للعلم الشرعي لا يقيمون بعض الشعائر؛ لأنهم لم يستطيعوا معرفة رسالتهم في الحياة، وهي هداية الخلق وتعليم الناس بعد أن يكونوا قد تشرَّبوا روح ومعاني وأخلاقيات ما يدعون إليه، وهناك موظفون كبار يقودون شركات كبرى، جمعوا ثروات كبيرة من خلال الرواتب والمكافآت المبالَغ فيها، وشركاتهم على شفا الانهيار، وما ذلك إلا لأنهم فصلوا مصالحهم عن مصالح شركاتهم، ولو أنهم كانوا أصحاب رسالة لجعلوا نجاحهم أحد منتوجات نجاح شركاتهم، وهناك آباء يملكون كل المقومات ليربوا أولادًا جيدين وناجحين، لكنهم لم يفعلوا؛ لأنهم لا يملكون صورة ذهنية للوضعية التي ينبغي أن

يكون أبناؤهم عليها...

نحن أيها الإخوة والأخوات نملك فرصة عظيمة، وهذه الفرصة هي ما تبقى من أعمارنا، وإن من الغبن الشديد أن نضيعها في اللَّهو أو المعصية أو الانشغال بالأمور التافهة. أصحاب الرسالات الحقيقيون يحملون في قلوبهم شيئًا من الهموم التي حملها الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - هموم إصلاح المجتمع والنجاة في الآخرة وإضافة شيء جميل إلى الحياة. المشكل أن كثيرين منا يظنون أن حمل رسالة يعني تحملًا للمسؤوليات ويعني العطاء من غير مقابل، ويعني تضحية غير مشروعة... وهذا كله صحيح، لكن هؤلاء لا يعرفون عظمة اللذة التي يشعر بها الإنسان حين يتيقن أنه على الطريق الصحيح، وأنه يدخر شيئًا مهمًّا لآخرته. إن المكاسب التي نحصل عليها هي مصدر لأفراح البدن، أما ما نبذله ونضحي به فإنه مصدر لأفراح الروح...

تعالوا لنتذوق طعم مسرات الروح، وأظن أننا إذا تذوقناها فسندمِن عليها، ونتأسف على حرماننا لأنفسنا منها في الأيام الخالية!

* * *

٤٦
عاجِل البُشْرَى

إن بِـرَّ الوالدين وصلة الأرحام مما يُرضي الخالق ﷻ والنصوص في ذلك كثيرة، ويكفي قوله ﷺ: « من أحب أن يُنسأ له في أجله - أي يُؤخر -... فليصل رحمه ». والشيء الذي لمسته أنا ولمسه كثيرون غيري هو أن جزاء البر والصلة يكون عاجلًا جدًّا، ليمثل عاجل البشرى بما ادخره اللَّه من الثواب والجزاء، وقد حدثني أحد الأصدقاء الثقات أن شابًّا جمع مبلغًا جيدًا من أجل زواجه، وذات يوم سمع جلبة وصياحًا على باب داره، فخرج مسرعًا، فإذا برجل يمسك بتلابيب والد الشاب ويعنِّفه، ويقول له: لن أدعك حتى تقضيني حقي، فأبعد الشاب الرجل عن والده، وقال له: دَيْنُكَ عليّ، وسأذهب وأحضر لك دفعة أولى وقسِّط عليّ الباقي كل شهر دفعة، ورضي الرجل، وأخذ المال، وانصرف، وقد تأثر الأب لهذا المشهد تأثرًا كبيرًا وصار يبكي، واتجه إلى القبلة، ودعا اللَّه - تعالى - أن يُخلف على ولده ما أنفقه أضعافًا مضاعفة، ولم يمض سوى وقت قصير وإذا بشركة تريد فتح فرع لها في بلدة الشاب، وأخذ مديرها يبحث عن شخص كفء، وأمين ليكون رئيسًا للفرع، فذكر له الشاب، فقابله، وعرض عليه مرتبًا يبلغ أضعاف المرتَّب الذي يتقاضاه في

عمله الحالي، هنا دمعت عين الشاب، فتعجب مدير الشركة، وسأله عن سبب ذلك، فأبى أن يخبره، ثم ألحَّ عليه وعلَّق إمضاء العقد على إخبار الشاب عن سبب بكائه، فقصَّ عليه ما جرى له مع أبيه وغريمه، فتأثر المدير تأثرًا شديدًا، وقال له: مهر زواجك وأقساط دين أبيك علينا، ومرتبك على ما اتفقنا عليه ...!!.

شخص آخر أعرفه أقسم بعد وفاة أمه أنه ما أعطاها شيئًا من المال إلا أخلفه اللَّه - تعالى - عليه أكثر من عشرة أمثال!.

أكرموا آباءكم وأمهاتكم، وأغدقوا عليهم من أموالكم، واغمروهم بالحب والتقدير والود الصادق، وكونوا على ثقة كاملة بأن اللَّه - تعالى - يعوّض ذلك، ويبارك في أمور كثيرة، ولن أقول: جربوا... فالبَـرُّ الكريمُ الرحمن الرحيم قد أفاض من خيره وَجُودِه ما يفوق العد والحصر، ورأينا من عوائده الحسنى ما لا يليق معه إلا الإيمان الكامل واليقين التام.

* * *

٤٧
النبتة العزيزة

إن أقرب الناس إلينا هم أكثر الناس قدرة على إسعادنا و إزعاجنا، ومن ثم فإن الحياة الزوجية تحتاج حتى تستقيم إلى شيء من الهندسة والرعاية، **ولعلي أشير إلى نقاط سريعة جدًّا في هذا الشأن:**

١ - من المهم أن ينظر كل واحد من الزوجين إلى علاقته بشريكه على أنها فرع من علاقته بخالقه - سبحانه - فهو يكرمه، ويبادر إلى إدخال السرور عليه، ويصبر على إساءاته، ويسامحه إكرامًا للَّه - تعالى - واستجابة لإرشاده للمسلم بأن يُحسن إلى زوجته وإرشاده للمسلمة بأن تُحسن إلى زوجها، ومن هنا تصبح الحياة الزوجية مظهرًا من مظاهر العبودية للَّه - تعالى -.

٢ - الحياة الزوجية أشبه بنبتة عزيزة تَظَلُّ خضراء ونامية ما دمنا نزيل من حولها الأعشاب الضارة، ونتعاهدها بالسقاية والرعاية، وكما أن النبتة لا تصلح لها السقاية المتقطعة والمتباعدة، فكذلك الحياة الزوجية تحتاج إلى إنعاش مستمر، أي تحتاج إلى سلوك يومي يقوم على الإحسان والاهتمام والفرح والمرح والعطاء...

٣ - لا تستقيم الحياة الاجتماعية عامة والحياة الزوجية خاصة من غير اعتماد مبدأ (التضحية) فالشراكة الخيّرة

تعني التنازل عن بعض الحقوق والرغبات، وتعني تحمل الضغوط والتبرع بما ليس مطلوبًا عُرفًا وقضاءً، وستكون الحياة الزوجية نموذجًا للإخفاق الذريع إذا تعاملنا معها على أنها عبارة عن فرص متتابعة لحصد المنافع والمكاسب.

وصلى اللَّه وسلم على البشير النذير القائل للرجال :

« **خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي** »، والقائل للنساء: « **لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها** ».

٤ - إن أكثر ما يدمر الحياة الزوجية ظن الزوجين أو أحدهما أن الحياة الزوجية تقوم على التوافق والتشابه، لا شك أن هناك كثيرًا من أوجه الشبه بين الزوجين، لكن القاعدة العامة التي تقوم عليها الحياة الزوجية تكمن في الاختلاف، وليس الاتفاق، وقد مضت سُنّة اللَّه - تعالى - أن يكون الاختلاف هو مَعقِد الابتلاء في حياتنا الاجتماعية ليرى اللَّه كيف يتصرف عباده حين تختلف رغباتهم وأمزجتهم وآراؤهم... وحين نتعامل على أننا مستقلُّون ومختلفون، فإننا سنجد الكثير من سبل التفاهم والإعذار.

٥ - إن الحياة الزوجية تحتاج إلى حماية من تدخل الآخرين، وقد دلَّ ما لا يحصى من الخبرات والتجارب أن تدخل الأهل والأرحام في حياة الزوجين من أكثر ما يفسدها ويدمرها، وإن من الخطورة بمكان أن ينظر الرجل إلى

زوجته بعيون أمه أو أبيه أو أخته... ومن الخطورة بمكان أن تنظر المرأة إلى زوجها بعيون أمها أو أبيها أو أختها... إن من حق الأهل أن يوجهوا بلطف وبالتعريض لا بالتصريح لكن القرار النهائي هو من حق الزوجين حصريًّا.

* * *

٤٨
لم يستعجلوا

كنت في أحد المجالس، وتطرق الحديث لما يقوم به بعض الشباب من أعمال عدوانية وتخريبية، يأتي في قمتها إزهاق الأنفس المعصومة، وذكرت أن تلك الأعمال قد شوَّهت سمعة الإسلام العالمية، وجعلت المسلم مظنة للإجرام...

هنا قال أحد الإخوة الحاضرين: « الشباب هداهم اللَّه استعجلوا في ذلك »، فقلت: لم يستعجلوا، ولكن أخطأوا وأجرموا، وسلكوا طريقًا لا يصح سلوكه لا الآن ولا بعد خمسين سنة تأتي؛ فالتفجيرات والاغتيالات لا تكون أبدًا طريقًا للإصلاح؛ فالإسلام مجموعة من القيم والمبادئ العظيمة وهذه لا تُفرض فرضًا بقوة السلاح على أحد، وتعميمها وترسيخها في المجتمع يتم عن طريق التربية والتعليم والدعوة والإعلام...

إن المشكلة الأساسية أن من يقومون بالأعمال التي أشرنا إليها هم ما بين جهلة وأنصاف متعلمين ، وهؤلاء لا يعرفون روح شريعتنا الغراء ولا أصولها، كما لا يعرفون ما قاله أهل العلم في كثير من أعمالهم الشنيعة، ومع الجهل يمكن أن يحدث كل شيء.

أنا اليوم لا أريد مناقشة هذا الموضوع لكن أودُّ أن أشير إلى عدد من النصوص التي تؤكد على حرمة دم المسلم وأهمية صَوْنِـه والمحافظة عليه:

يقول ﷺ: « **لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا** ». قال ابن العربي المالكي: الفسحة في الدين: سعة الأعمال الصالحة حتى إذا جاء القتل ضاقت؛ لأنها لا تفي بوزره؛ والفسحة في الذنب: قبوله الغفران بالتوبة حتى إذا جاء القتل ارتفع القبول.

وقال ﷺ : « **لزوال الدنيا أهون على اللَّه من قتل رجل مسلم** » وصح عنه ﷺ أنه قال: « **لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم اللَّه في النار** »

وقال عبد اللَّه بن عمر - رضي اللَّه عنهما -: رأيت رسول اللَّه ﷺ يطوف حول الكعبة ويقول: « **ما أطيبك وأطيب ريحك! وما أعظمك وأعظم حرمتك؟ والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند اللَّه حرمة منك: ماله ودمه، وأن لا نظن به إلا خيرًا** ».

* * *

٤٩
الرقيب الذاتي

إن الإنسان يقترب من الكمال على مقدار ابتعاده عن الحيوان؛ وذلك لأن اللَّه - سبحانه - منحنا الكثير من الفضائل التي تجعلنا نمتاز عن البهائم، فإذا صار الإنسان عاطلًا عن تلك الفضائل، زالت الحدود الفاصلة بينه وبين من فُضِّل عليهم، وإن من جملة ما فضلنا اللَّه به ما نسميه بالرقيب الذاتي، أو الوازع الداخلي، أو الضمير، وهو ذلك الصوت النوراني الذي يَضِجّ في داخلنا حاثًّا ومُحذِّرًا، إنه يشجعنا على فعل المعروف والإتيان بالطاعة حين تلوح فرصة لذلك، ويُحذِّرنا بقوة من الإقدام على فعل ما لا يحل، وما لا يليق، إن الوازع الداخلي يُزيِّن سرائرنا كما تزين النجوم السماء، وإن شخصًا يعيش من غير ضمير أشبه بسماء من غير قمر ولا نجوم في ليلة ظلماء.

الوازع الداخلي تُنْشئه العقائد، وتُنْشئه الأسرة والمجتمع.
وأود في هذا السياق أن أشير إلى أمرين اثنين:

الأول: إذا أردنا زرع الوازع الداخلي لدى الطفل، فإن علينا القيام بالآتي:

١ - نقوّي ثقته بنفسه.

٢ - نُشعره أننا نتعامل معه على أنه موثوق.

٣ - نتيح له أكبر قدر ممكن من الاختيار في أموره الشخصية.

٤ - نغض الطرف عن هفواته.

٥ - نعاقبه بلطف.

٦ - لا نعاقبه أمام أحد.

٧ - نكلّفه بالقيام ببعض الأعمال، ونحمّله مسؤولية النجاح فيها.

٨ - ننمي لديه الاعتزاز بالذات والحياء من فعل القبائح.

الثاني: إذا أراد الواحد منا تقوية الرقيب الذاتي لديه شخصيًّا، فقد يفيد في ذلك الآتي:

١ - ليتذكر دائمًا أن اللَّه - تعالى - معه، وناظر إليه.

٢ - ليحاول أن يترك في السرّ كل ما يستحي من فعله في العلن.

٣ - الإصغاء التام لضميره والتجاوب مع إشاراته.

٤ - توسيع مساحة ما يعتقد أنه لا يليق به ومساحة ما يستحي من فعله والإقدام عليه.

* * *

٥٠

الشعور بالهناء

إن السعي إلى الشعور بالهناء والسعادة شيء فَطَر اللَّه - تعالى - العباد عليه، وقد حار الحكماء والعقلاء في تحديد طبيعته وبيان أسبابه، والحقيقة أن نصف الشعور بالسعادة يعود إلى أسباب ملموسة والنصف الآخر يعود إلى أشياء وهمية، أو أشياء يمكن أن تُصنع صناعة من خلال الخيال واللغة، وهذا شيء رائع: أن نشعر بشعور الأثرياء وليس لدينا مال، وأن نشعر بشعور الأقوياء، وليس لدينا قوة...

لا أريد أن أتحدث عن هذا، اليوم، فربما خصصت له رسالة مستقلة.

السعادة تدفق داخلي وشعور خاص يرتبط في أحيان كثيرة بأسباب واضحة وملموسة، **ولعل من أهم تلك الأسباب الآتي:**

١ - الانسجام الذاتي وشعور المرء بأنه على الطريق الصحيح، وأنه يفعل ما عليه أن يفعله، وهذا يعني بالنسبة إلى المسلم الاستقامة على شرع اللَّه - تعالى - والإكثار من ذكره ومناجاته والتذلل بين يديه. والحقيقة أن الفجوة التي تفصل بين عقائدنا وسلوكاتنا هي دائمًا مصدر للشعور بالخوف ومصدر للتوبيخ الذاتي، وإذا كان المرء لا يشعر بذلك وهو يعتقد أنه

منحرف، فهذا يستحق الإشفاق، وقد قطع مسافة طويلة على طريق التدهور التام، وما أجمل قول اللَّه - تعالى -: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧].

٢ - وجود قدر مناسب من الصحة ومن الاكتفاء المادي والاستغناء عن الناس؛ وذلك لأن الفقر المدقع يجعل المرء يشعر أنه محاط بالضرورات، وأنه مغلوب، كما أن الفقر الشديد يجعل المرء يشعر بضعف الكفاءة الشخصية وانحسار الذات، وقد ثبت أنه ﷺ سأل اللَّه الغنى، واستعاذ به من الفقر.

٣ - بناء علاقات اجتماعية ناجحة؛ إذ إن من الواضح أن الإخفاق في بناء علاقات اجتماعية جيدة والانكفاء على الذات من أهم أسباب الشعور بالشقاء والضعف والعزلة؛ بل إنني أشعر أن الشخص الانطوائي هو أقل من درجة إنسان.

٤ - الشعور بالإنجاز والتقدم الشخصي، وهو مهم جدًّا للشعور بالسعادة؛ لأن الإنجاز يجعلنا نشعر بالجدارة والكفاءة كما أن الإنجاز يساعدنا على ملء الفراغ الذي لدينا، وملء الفراغ يعني التخلص من الملل والسأم، وهما عدوَّان لدودان للشعور بالسعادة والهناء.

٥ - الإحسان إلى الخلق والتعاطف معهم وتشجيعهم

ومنحهم الرؤية ونصرة المظلوم منهم.

إن الكلمات الجميلة التي نتلفظ بها تشبه العطر النفيس؛ حيث إنك لا تستطيع أن ترشه على من حولك دون أن ينالك منه شيء.

إن أسباب السعادة أشبه بحبل مفتول من عدد كبير من الخيوط الدقيقة، وإن علينا معرفتها، وتوفير ما يمكن توفيره منها حتى نعيش في هناء وسرور.

* * *

أ. د. عبد الكريم بكار.

يُعدُّ د. عبد الكريم بن محمد الحسن بكار أحد المؤلفين البارزين في مجالات التربية والفكر الإسلامي؛ حيث يسعى إلى تقديم طرح مؤصل ومجدد لمختلف القضايا ذات العلاقة بالحضارة الإسلامية، وقضايا النهضة والفكر والتربية، والعمل الدعوي.

وللدكتور بكار حوالي ثلاثين كتابًا في هذا المجال؛ لقي الكثير منها رواجًا واسعًا في مختلف دول العالم العربي، كما قدم د. بكار للمكتبة الصوتية أكثر من مائة ساعة صوتية مسجلة ومنشورة في مكتبات التسجيلات الصوتية.

ويحرص د. بكار على أن يقدم رؤاه الفكرية والتربوية من خلال مشاركته الواسعة في مختلف الصحف، والمجلات العربية المتخصصة والعامة؛ حيث يكتب د. بكار مقالات دورية في مجلة (البيان)اللندنية، ومجلة (الإسلام اليوم) الشهرية، ومجلة (مهارتي) الصادرة عن جامعة الملك سعود، وموقع (الإسلام اليوم ﴾ كما يشارك باستمرار منذ أكثر من عشرين سنة بمقالاته ودراساته في عدد من المجلات

الدورية الأخرى.

بالإضافة إلى ذلك، للدكتور بكار نشاط مكثف على صعيد المحاضرات، والندوات الفكرية والثقافية والدورات التدريبية، وشارك في المئات منها في المملكة العربية السعودية والكويت وقطر والبحرين وتركيا ولبنان ومصر والأردن وماليزيا والسودان. كما يقدم حاليًا برنامجًا أسبوعيًا في قناة (دليل) الإسلامية باسم: « آفاق حضارية »، وبرنامجًا شهريًا بقناة (المجد) باسم: « معالي »، وكان د. بكار قد قدم برنامجًا تلفزيونيًا أسبوعيًا في قناة (المجد) باسم: « دروب النهضة » لمدة عامين، وبرنامجًا إذاعيًا أسبوعيًا باسم: « بناء العقل في القرآن الكريم »، وبرنامجًا إذاعيًا أسبوعيًا آخر باسم: « العلاقات الإنسانية في المجتمع الإسلامي » استمرًا لمدة سنتين بإذاعة القرآن الكريم بالرياض؛ بالإضافة لاستضافته في برامج عديدة على قناة (الرسالة)، وقناة (اقرأ)، وقناة (الناس) والتلفزيون السعودي.

من جهة أخرى قاد د. عبد الكريم بكار مسيرة أكاديمية طويلة، دامت (٢٦ عامًا) بدأت عام: (١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م) في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في القصيم (السعودية)، لينتقل بعدها إلى جامعة الملك خالد في أبها في عام: (١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م)، حصل خلالها على درجة الأستاذية في عام: (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م)، وليبقى فيها حتى

استقال منها عام: (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م)؛ ليتفرغ للتأليف والعمل الثقافي والفكري؛ حيث يقيم في العاصمة السعودية الرياض.

وتركزت المسيرة الأكاديمية للدكتور بكار على تدريس اللُّغويات، والتي شملت مواد المعاجم اللُّغوية، دلالة الألفاظ، الأصوات اللُّغوية، اللهجات العربية، القراءات القرآنية واللهجات، النحو، الصرف، المدارس النحوية، وتاريخ النحو. كما قدم د. بكار خلال تلك الفترة عددًا من الأبحاث والكتب المتخصصة والتعليمية في مجال اللُّغويات، وأسهم في النشاط الأكاديمي للجامعات التي عمل بها من خلال رئاسته لعدد كبير من اللِّجان العلمية، ورئاسته لقسم النحو والصرف وفقه اللغة لعدة سنوات، ومساهمته في وضع المناهج، والإشراف على البحوث، وتحكيم الدراسات العلمية.

حصل د. عبد الكريم بكار على البكالوريوس من كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر (١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م)، وعلى الماجستير في عام: (١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م)، والدكتوراه في عام: (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) من قسم أصول اللغة بالكلية نفسها بجامعة الأزهر، وكان عنوان رسالة الدكتوراه: « الأصوات واللهجات في قراءة الكسائي » .

ود. بكار عضو في المجلس التأسيسي للهيئة العالمية

للإعلام الإسلامي التابعة لرابطة العالم الإسلامي (الرياض) ، وعضو الهيئة الاستشارية بمجلة (الإسلام اليوم) (الرياض) ، وعضو الهيئة التأسيسية لقناة (دليل)، وعضو في مجلس الأمناء لقناة (سنا) الفضائية (عمان) .

وفيما يلي قائمة بالكتب والدراسات الأكاديمية المتخصصة:

١ - أصول توجيه القراءات ومذاهب النحويين فيها حتى نهاية القرن الرابع الهجري، بحث غير منشور، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) .

٢ - ابن مجاهد شيخ قراء بغداد، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بالقصيم، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) .

٣ - تحقيق كتاب: « القواعد والإشارات في أصول القراءات »، للقاضي أحمد بن عمر الحموي، دار القلم، دمشق، (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) .

٤ - الصفوة من القواعد الإعرابية، دار القلم، دمشق، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) .

٥ - تحقيق كتاب: « رد الانتقاد على الشافعي في اللغة » للإمام البيهقي، دار البخاري، بريدة، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) .

٦ - أثر القراءات السبع في تطور التفكير اللغوي، دار القلم، دمشق، (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) .

٧ - المهدوي ومنهجه في كتابه الموضح، دار القلم، دمشق، (١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

٨ - ابن عباس مؤسس علوم العربية، دار السوادي، جدة، (١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

٩ - دراسة لإنشاء مركز لتعليم اللغة العربية، كلية اللغة العربية بأبها، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).

أمَّا الكتب التربوية والفكرية الصادرة للدكتور بكار؛ فمنها الكتب التالية:

١ - فصول في التفكير الموضوعي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، (١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).

٢ - نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي، دار المسلم، الرياض، (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).

٣ - من أجل انطلاقة حضارية شاملة، دار المسلم، الرياض، (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).

٤ - مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، دار المسلم، الرياض، (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).

٥ - مدخل إلى التنمية المتكاملة، دار المسلم، الرياض، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

٦ - من أجل شباب جديد، بحث منشور في وقائع المؤتمر السنوي للندوة العالمية للشباب الإسلامي، عمَّان،

(١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م).

٧ - حول التربية والتعليم، دار المسلم، الرياض، (١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م).

٨ - العولمة، دار الأعلام، عمَّان، (١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م).

٩ - القراءة المثمرة، دار القلم، دمشق، (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

١٠ - العيش في الزمان الصعب، دار القلم، دمشق، (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

* * *

رقم الإيداع

٢٠١١ / ١٥٢٠

الترقيم الدولي I. S . B. N

978 - 977 - 342 - 994 - 2

هذا الكتاب

مجموعة رسائل ذات مغزًى أخلاقي تمثل كلٌّ منها إحساسًا بمعاناة الناس في مواقف كثيرة، وكلها ينبئ عن أنواع من كنوز الحِكم الجلية؛ فتهَبُ القارئ دروسًا وفوائد وعظات وعبرًا يجب الانتباه إليها وأن تأخذها دائمًا بعين الاعتبار ليكون أمامك انطلاقة صحيحة مستقيمة نحو آفاق المستقبل، وقد سما عقلك وسمت روحك، متحليًا بصفات تُرضي عنك من حولك وتُرضي عنك رب العباد.

الناشر

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

القاهرة - مصر - ١٢٠ شارع الأزهر - ص.ب ١٦١ الغورية
هاتف: ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ - ٢٥٩٣٢٨٢٠ - ٢٤٠٥٤٦٤٢
فاكس: ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢+)
الإسكندرية - هاتف: ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس: ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣+)
www.dar-alsalam.com info@dar-alsalam.com

ISBN: 978-977-342-994-2
9 789773 429942 >